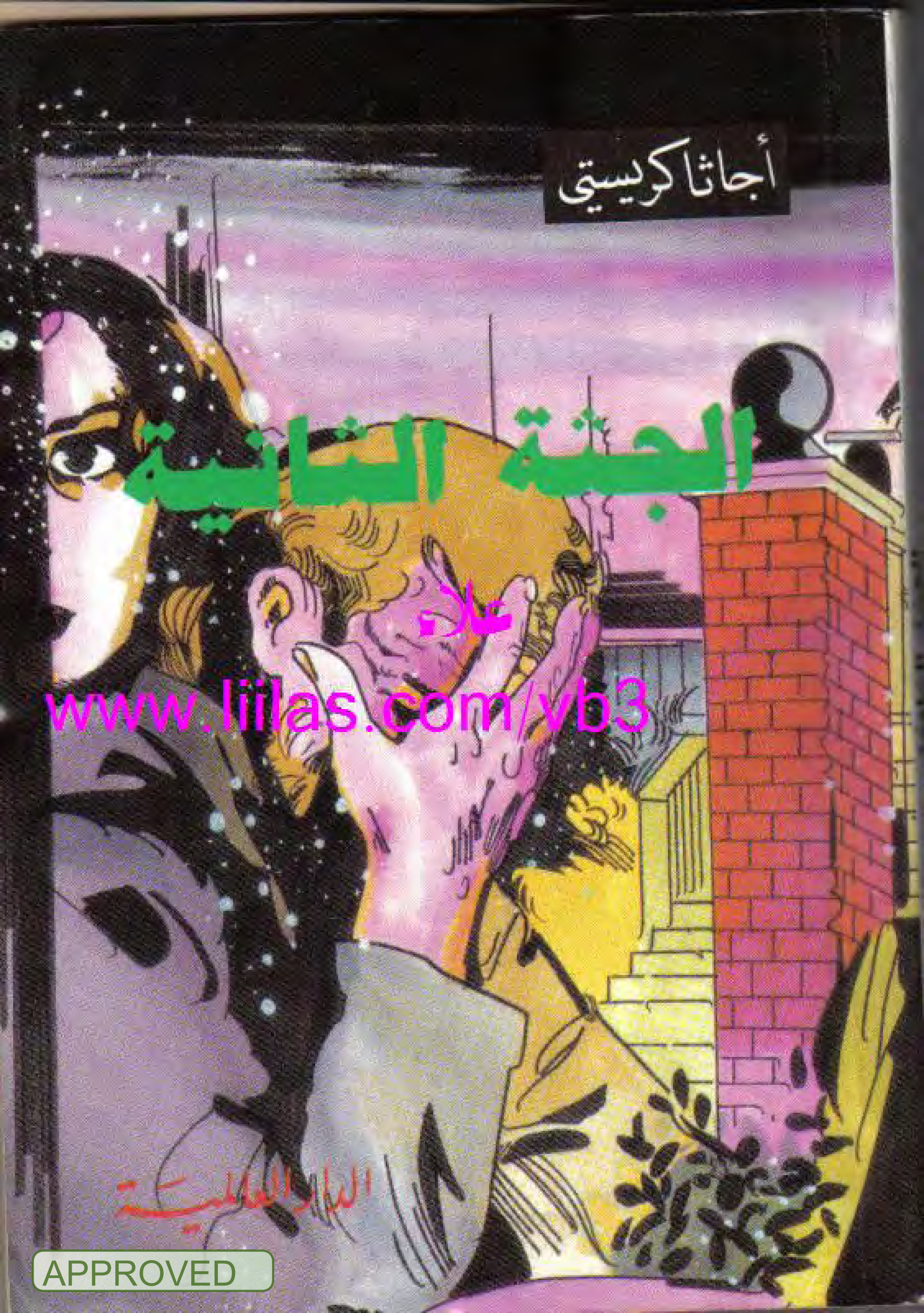

أجاثا كريستي
الجثة الثانية
علاء
www.liilas.com/vb3
الدار العالمية
APPROVED

أجاثا كريستي

الجثة الثانية

تعريب
عمر عبد العزيز أمين

الدار العالمية

الجثة الثانية

- ١ -

كان ذلك في أحد أيام شهر يونيه، وكنت قد فرغت من بعض أعمالي في باريس، وركبت قطار السحر في طريقي إلى لندن.. أو على الأصح، إلى المسكن الذي يشاركني الإقامة فيه البوليس السري البلجيكي هيركيول بوارو.

وكان القطار وهو يهبط الأرض إلى ميناء كاليه، يكاد يكون خالياً من المسافرين. ولم يكن في مقصورتي غير راكب، أعني راكبة - واحدة. وكنت مشغولاً بالنظر إلى حاجياتي لأطمئن على أنني لم أغفل شيئاً في المحطة. وبسبب هذا الانشغال لم ألق بالاً إلى زميلتي في المقصورة حتى فوجئت بها تفتح زجاج النافذة وتطل برأسها قليلاً..

ثم تراجع وهي تهتف:

- اللعنة!

واعترف أنني من الناس المحافظين، أي من الذين يرون أن المرأة يجب أن تتصرف كامرأة، ومن ثم لم يكن في مقدوري أن أحتمل رؤية هذا الجيل الجديد من الفتيات العصبيات اللائي يدخن كالمداخن، ويرقصن من منتصف الليل إلى الصباح، ويتلفظن

بعبارات تخجل منها نساء المواني»!

وكانت زميلتي في المقصورة، فتاة جميلة جريئة النظرات سوداء الشعر في نحو الثامنة عشرة من عمرها، إلا أنها كانت مسرفة في تجميل وجهها وصبغ شفتيها.

ولم تخجل هي من نظراتي التي تنم عن الدهشة، وإنما نظرت إلي متحدية وتمتمت بصوت لا يخلو من رنين السخرية:

- تبا لي! يبدو أنني صدمت هذا السيد المهذب، إنني أعتذر عن عباراتي غير المهذبة التي لا تليق بسيدة تحترم نفسها، وما إلى هذا كله، ولكن.. مهلاً إن لي العذر، فإنني فقدت أختي في الزحام!

- أحقاً؟ يا للأسف!

فعادت تقول بنفس الصوت الذي لا يخلو من رنين السخرية:

- إنه غير راض عني، ولا عن أختي.. هذا السيد المهذب، وهذا ولا شك ظلم مبين، لأنه لم يرها.

وفتحت فمي لأرد، ولكنها بادرتني قائلة:

- لا تقل شيئاً، ليس في هذه الدنيا من يحبني، لسوف أعيش في الغابة وآكل ورق الشجر، لقد تحطمت كل آمالي.

وأخفت وجهها وراء صحيفة فرنسية فكاهية. وبعد لحظة أو نحوها أخذت تختلس النظر إلي من فوق حافتها، ولم يسعني إلا أن ابتسم.

وسرعان ما ألقت بالصحيفة جانباً وانطلقت تضحك بمرح وسعادة، ثم قالت:

- إنك لست ثقيل الظل كما كنت أظن.

وكانت ضحكاتها نابعة من أعماقها بحيث وجدت نفسي أضحك معها متجاوزاً عن عبارة «ثقيل الظل».

وعادت وهي تقول:

- أعتقد أننا الآن صديقان.

ثم أردفت بعد قليل:

- الواقع إنني أميل إليك، لقد ملت إليك منذ أن وقعت نظراتي عليك، ولكن بدا عليك الاشمئزاز من كلمتي حتى ظننت أننا لن نعلم تصديقين اطلاقاً.

فابتسمت قائلاً:

- ولكن هذا ما حدث، أخبريني بشيء عن نفسك.

- إنني ممثلة.. لا، لست من الطراز الذي تعرفه، لقد بدأت حياتي على خشبة المسرح منذ كنت في السادسة من عمري، ألعب!

- ماذا؟

- ألم تر في حياتك أطفالاً يقومون بألعاب بهلوانية؟

- آه.. فهمت؟

- إنني أمريكية المولد، ولكنني أمضيت معظم حياتي في لندن، وقد تعاقدت وأختي الآن مع مسرح جديد.

- أنت وأختك؟

- نعم، نغني ونرقص ونلقي بعض الفكاهات، ونقوم ببعض الألعاب البهلوانية، إنها شيء جديد، ولكننا نظفر بالنجاح دائماً و..

وأخذت تتحدث عن عملها بعبارات وتعبيرات لم أفهم معظمها، ولكنني كنت سعيداً بحديثها، لأنها كانت تجمع في نظري بين براءة الطفولة، وشقاوة المراهقة، وخفة ظل الفتاة الجميلة الجذابة التي لا تشبع العين من النظر إليها.

وانساب القطار في منطقة ليون، وأثارت هذه المنطقة الكثير من الذكريات في ذهني.

ولاحظت زميلتي شرود نظراتي فسألت:

- هل تفكر في ذكريات الحرب!

- نعم..

- أظن أنك اشتركت فيها؟
- إلى حد كبير، وقد جرحت مرة. وبعد ذلك، تركت الخدمة العسكرية بسبب اعتلال صحتي، وأنا الآن أعمل كسكرتير لأحد أعضاء البرلمان.
- إن هذا العمل يحتاج إلى ذكاء ومقدرة.
- لا لا.. ليس إلى هذا الحد، إنني لا أعمل أكثر من ساعتين في اليوم، وفي أثناء العطلة البرلمانية لا أعمل إطلاقاً، وهو في مجموعة عمل مثير للملل، ولست أدري متى كنت أعمل بحياتي لو لم يكن لي عمل آخر، أو هواية أخرى.
- لا تقل إنك تجمع الطوابع؟
- لا.. إنني أشترك في السكن مع رجل مدهش، بلجيكي الجنسية، وضابط مباحث سابق، لقد افتتح مكتباً خاصاً في لندن، وهو ناجح فيه، والواقع أنه أعجوبة في الذكاء، وكثيراً ما تفوق على رجال المباحث الرسميين في كشف أسرار بعض الجرائم الغامضة.
واتسعت زميلتي بعينين ملؤهما الدهشة، ثم قالت:
- أليس هذا رائعاً؟ إنني شديدة الشغف بالحوادث البوليسية، ولا يكاد يفوتني فيلم بوليسي، وأعترف أنني أقرأ في الصحف، أول ما أقرأ، حوادث الجرائم.
فلمعت برأسي وأخذت أقص عليها ما فعله بوارو في الكشف عن بعض الجرائم، وظلت هي تنصت إلي في عجب حتى وصل القطار إلى محطة ميناء كاليه.
وهنا افترقنا وهبطت هي من القطار وصافحتني قائلة:
- طاب يومك، لسوف أعنى بعد ذلك بتهذيب كلماتي.
- ولكن.. لماذا لا تظلين معي حتى أهتم بأمرك أثناء عبورنا القنال؟
- إنني مضطرة للبحث عن أختي، ولن أعود إلى لندن إلا بعد أن

أعثر عليها، وداعاً.
- لا لا.. لا بد أن نلتقي مرة أخرى، ألا تذكرين لي اسمك؟
وبدأ القطار يتحرك.
وضحكت هي قائلة:
- إن اسمي سندريلا؟
ولم أعرف يومذاك متى أو أين سأرى سندريلا هذه مرة أخرى.

- ٢ -

وفي اليوم التالي كانت الساعة قد تجاوزت التاسعة بخمس دقائق عندما دخلت غرفة الجلوس المشتركة لأتناول طعام الافطار، فوجدت صاحبي بوارو جالساً يكسر بيضته الثانية في طعام الافطار.

جلست إلى المائدة وقلت:

- هل من جديد يا بوارو؟

فهز رأسه في غير مبالاة وقال:

- إنني لم أقرأ بريد اليوم بعد، وأكبر الظن أنني لن أجد فيه ما يثير الاهتمام، إن مجرمي هذه الأيام لم يعودوا مبتكرين في أساليبهم كمجرمي الأيام الغابرة.

وهز رأسه في أسى..

وضحكت أنا قائلا:

- لا تيأس يا صديقي، فربما تغير الحظ، افتح خطاباتك، فربما وجدت شيئاً يثير اهتمامك؟

وراح بوارو يفض خطاباته وهو يقول:

- فاتورة.. وفاتورة أخرى.. وثالثة.. يبدو أنني أصبحت مسرفاً في شيخوختي، وهذه رسالة من صديقي المفتش جاب، انه يشكرني على مساعدتي له في [illegible].. ما هذا؟

[illegible] تثير الاهتمام، وبعد أن

قرأ الرسالة التي كانت في يده، قدمها إليّ قائلاً:

- هذه الرسالة تثير الاهتمام فعلاً.. اقرأها بنفسك.

«فيلا جينيف.. مصيف ميرلينفيل:

«سيدي العزيز. إنني في حاجة إلى مساعدة أحد رجال المباحث الخصوصيين، وسوف تعرف السبب بعد أن اذكره لك، الذي يجعلني لا ألجأ إلى رجال المباحث الرسميين.

«لقد سمعتُ عنك من مصادر كثيرة، كما قرأت في الصحف عن القضايا التي كشفت أسرار الجرائم فيها، كما تأكدت من أنك رجل كتوم للسر. وأنا لا أريد أن أكتب عن أسراري في رسالة بريدية، ولكني أقول إنني أعيش في خوف دائم على حياتي، وأعتقد أن الخطر وشيك، ولهذا أرجو منك أن تسرع بالحضور إلى فرنسا لحمايتي.

«ولسوف أرسل سيارة لاستقبالك في ميناء كاليه و إحضارك إلى مسكني إذا أنت أبرقت إليّ بموعد وصولك، وإنما أرجو أن تترك كل أعمالك الحاضرة وتكرس نفسك تماماً لحمايتي، وأنا على استعداد لأن أدفع لك جميع الأتعاب والنفقات اللازمة.

«ومن المحتمل أني سأطلب خدماتك لمدة طويلة، وقد أوسلك إلى سنتياجو بجمهورية شيلي، حيث سبق أن أمضيت سنوات طويلة من عمري ويسرني أن تحدد المبالغ اللازمة لأتعابك بلا قيد ولا شرط.

والمخلص ب. ث رينولد»

ورأيت تحت الامضاء هذه الملاحظة: «أرجو بحق الله أن تحضر»، وكانت مكتوبة بسرعة وبخط لا يكاد يبدو واضحاً.

وأعدت الرسالة إلى بوارو في اضطراب وقلت:

- هذا على الأقل شيء يثير الاهتمام.

- أعتقد هذا.

- لسوف تذهب طبعاً!
وأومأ بوارو برأسه.
وأخيراً بدا كأنه عقد العزم على شيء ما، فنظر في ساعته وقد ارتسم الجد على وجهه وهو يقول:
- ليس لدينا وقت نضيعه، إن قطار القارة السريع سيتحرك من محطة فيكتوريا في الحادية عشرة صباحاً. لا ترتبك، فلدينا ما يكفي من الوقت، بل لدينا نحو عشر دقائق يمكن أن نخصصها للمناقشة في هذا الأمر، لسوف تأتي معي طبعاً.
ثم أردف بعد قليل:
- يبدو لي أن اسم رينولد غير غريب علي.
- أعرف مليونيراً وافداً من أمريكا الجنوبية يسمى رينولد، ولا أدري إن كان هو نفسه مرسل الخطاب أم.
- لا شك أنه هو. وهذا يفسر قوله إنه قد يرسلني إلى سنتياجو بجمهورية شيلي، وشيلي في أمريكا الجنوبية كما تعلم، إننا نتقدم بسرعة، ما رأيك في الملاحظة التي جاءت تحت الامضاء؟
فقلت بعد أن فكرت برهة:
- يبدو أنه كتب الرسالة وهو متمالك أعصابه. فلما فرغ منها، كانت أعصابه قد اضطربت، فجاءت الملاحظة الأخيرة بخط مضطرب.
- هذا هو رأيي أيضاً. ومن ثم ينبغي أن نسرع إلى نجدة هذا الرجل الذي أرسل يستغيث بي.
- ولكن أين يقع مصيف ميرلنفيل؟
- إنه مصيف صغير أنيق يقع في الطريق بين كاليه وبولون.
- وأعتقد أن للمستر رينولد بيتاً في انجلترا؟
- نعم.. إن له قصر في منطقة رتلاندجيت، وقصراً آخر في الريف، بالقرب من هيرتفوردشير. ولكنني في الواقع لا أعرف عنه إلا

القليل جداً، فهو قليل الاختلاط بالمجتمع، وأعتقد أن له ثروة ضخمة يستثمرها في شيلي حيث أمضى معظم سنوات حياته.
- حسناً. لسوف تعرف جميع التفاصيل من الرجل نفسه.. هلم نعد حاجياتنا في الحقائب، يكفي أن يحمل كل منا حقيبة سفر صغيرة، ثم سيارة مأجورة إلى المحطة.
وتحرك بنا القطار السريع في تمام الحادية عشرة من محطة فكتوريا في طريقه إلى ميناء دوفر.
وكان بوارو قد أرسل برقية من المحطة إلى المستر رينولد يخبره فيها بموعد وصولنا إلى كاليه.
ولما عبرنا قنال المانش ووصلنا إلى كاليه، لم نجد - للأسف - أية سيارة في انتظارنا.
وظن بوارو أن البرقية لم تصل في الموعد المناسب، ومن ثم قرر أن نمضي إلى ميرلنفيل في سيارة مأجورة.
وفي الطريق قال بوارو وهو يهز رأسه:
- إني أشعر بالانقباض!
- لماذا؟
- لا أدري.. ولكنه إحساس داخلي.. يخيل لي أننا سوف نصل بعد فوات الأوان.
وكان يتحدث بلهجة جادة حزينة جعلتني أشاركه نفس الشعور، ثم أردف قائلاً:
- ويخيل لي أيضاً أن الأمور ستتطور إلى مشكلات معقدة تحتاج إلى بضعة أيام لحلها وكشف غوامضها.
وقبل أن أرد عليه كنا قد وصلنا إلى مدينة ميرلنفيل الصغيرة وشرعنا نسأل عن الطريق إلى فيلا جنيفيف.
وقال لنا أحد المارة:
- إنها تقع في الجانب الآخر من المدينة.. بالقرب من شاطئ

البحر، أو على مسافة نصف ميل من هنا. وهي فيلا كبيرة كأنها قصر صغير.

واستأنفنا السير تاركين المدينة وراءنا حتى وصلنا إلى مفترق للطرق، فتوقفنا وسألنا أحد المزارعين، وكان يقترب منا، عن الطريق المؤدي إلى الفيلا.

وكان ثمة فيلا على الطريق الأيمن بالقرب منا، إلا أنها كانت صغيرة وخالية من مظاهر الترف والثراء.

وفيما نحن نتحدث مع المزارع رأيت فتاة تقف بباب الفيلا وتنظر إلينا.

أما المزارع فقد كان يقول للسائق:

ـ إن فيلا جنفييف على مسافة قصيرة من هنا، وراء المنعطف القريب على اليمين.

وشكره السائق واستأنف السير، ولكن نظراتي ظلت عالقة بالفتاة التي كانت واقفة بباب الفيلا الصغيرة، واضعة يدها على جانب الباب، كانت طويلة القامة، متناسقة الجسم كأنها إحدى آلهات الجمال، وكان شعرها الذهبي المرسل يتألق في ضوء الشمس حتى اقسمت أنها أجمل فتاة رأيتها في حياتي.

وقلت لبوارو بعد أن غابت الفتاة عن نظري:

ـ أرأيت يا بوارو هذه الالهة الصغيرة!

فرد يائساً:

ـ أبهذه السرعة قد رأيت إلهة؟

ـ أليست إحدى آلهات الجمال.

ـ لعلني لم أحسن النظر إليها!

ـ بل لقد رأيتها تماماً.

فهز رأسه قائلاً:

ـ قلما يرى اثنان شيئاً واحداً بنفس القوة والاحساس، فأنت مثلاً

قد رأيت إلهة جمال، أما أنا.

ـ أما أنت.

ـ فقد رأيت فتاة خائفة العينين!

وكانت السيارة قد توقفت أمام الفيلا، فاقترب منا أحد رجال الشرطة وقال حين رآنا نهبط من السيارة:

ـ ممنوع الدخول.

فصحت قائلاً:

ـ ولكننا على موعد مع المستر رينولد؟

وقال الشرطي ببساطة:

ـ ولكن المستر رينولد قتل هذا الصباح؟

- ٣ -

وهتف رارو وقد برقت عيناه:

- ماذا تقول؟ متى.. وأين؟

وشد الشرطي قامته وقال في تحد:

- إنني لا أجيب على أسئلتك.

- حسناً.. لا شك أن مفتش الشرطة موجود بالداخل؟

- نعم..

وقدم بوارو للشرطي بطاقته قائلاً:

- هل تسمح بتقديم البطاقة لمفتش الشرطة؟

وتناول الشرطي البطاقة، وبعد أن قدمها لأحد زملائه، غاب هذا بضع لحظات، ثم عاد ومعه رجل ضخم الجسم كث الشارب وقال الرجل في حماس:

- يسرني أنك حضرت، لقد وصلت في الوقت المناسب.

وأشرق وجه بوارو قائلاً:

- المسيو بكس! إنني سعيد برؤيتك.. هذا صديقي الانجليزي الكابتن هاستنج.. هذا هو المسيو لوسيان بكس، مفتش الشرطة؟

وتبادلت مع المفتش بكس التحية..

بينما استدار هذا إلى بوارو قائلاً:

- إني لم أرك منذ سنوات يا مسيو بوارو، منذ قضية أوستند التي

سحقنا فيها كثيراً.

ثم أردف قائلاً:

- لا شك أنك حضرت لأن لديك معلومات يمكن أن تفيدنا في كشف غموض هذه الجريمة.

- ألم تعرف أنني دعيت للحضور على عجل.

- ومن الذي دعاك؟

- القتيل.. يبدو أنه كان يعرف أن هناك من يتهدد حياته.

هتف الفرنسي قائلاً:

- يا إلهي، إذن فقد كان يتوقع مصرعه، إن هذا يقلب نظرياتنا رأساً على عقب.

ثم تقدمنا إلى داخل الفيلا وهو يستطرد قائلاً:

- يجب أن يعرف المسيو هوتيت - المحقق - بهذا فوراً، لقد فرغ من فحص مسرح الجريمة وبدأ في التحقيق.

- متى وقعت الجريمة.

- لقد اكتشفنا الجثة في حوالي الساعة التاسعة هذا الصباح، ولكن شهادة مدام رينولد والأطباء ترجح وقوع الجريمة قبل سبع ساعات، أي في حوالي الثانية بعد منتصف الليل، تفضلا بالدخول.

ودلفنا من الباب الأمامي إلى صالة فسيحة، ورأينا شرطياً جالساً بجوار باب غرفة جانبية.

فسأله بكس قائلاً:

- أين المسيو هوتيت الآن؟

- في الصالون يا سيدي.

وفتح بكس باب غرفة على اليسار، وتقدمنا إلى حيث كان المسيو هوتيت - المحقق - جالساً إلى مائدة صغيرة مستديرة وبجواره كاتب التحقيقات.

وكان المحقق رجلاً طويل القامة نحيل الجسم ثابت النظرات، له

لحية وخطها الشيب، وبجوار المدفأة وقف رجل متهدل الكتفين علمنا أنه الدكتور ديورانت.

وبعد أن تم التعارف بيننا جميعاً، قال المحقق:

- عجيب ما تقول يا مسيو بوارو، ألديك الرسالة التي بعث بها القتيل إليك؟

وسلم بوارو إليه الرسالة.

وبعد أن قرأها قال:

- إنه يشير فيها إلى أسرار خاصة، ومع الأسف إنه لم يوضح نوع هذه الأسرار. إننا نشكرك يا مسيو بوارو ويشرفنا أن تتعاون معنا في القبض على القاتل. أم لعلك مضطر للعودة إلى لندن سريعاً!

- لا يا سيدي المحقق، لسوف أبقى هنا حتى يتم القبض على القاتل، وإذا كنت لم أصل في الوقت المناسب لحماية موكلي، فلا أقل من العمل معكم للوصول إلى قاتله؟

فانحنى المحقق قائلاً:

- إننا نشكر لك هذا الموقف الكريم، وأعتقد أيضاً أن مدام رينولد تريد منك أن تبقى لتضع خدماتك تحت أمرها، ونحن الآن في انتظار مفتش المباحث المسيو جيرود من إدارة الأمن بباريس، وأعتقد أنك بالتعاون معه ستصلان إلى القاتل في أقرب وقت، وفي خلال هذا يسرني أن تشهد معي التحقيق، ويمكنك أن توجه أي سؤال إلى الشهود الذين سأجري معهم التحقيق.

فقال بوارو:

- إني أشكرك يا سيدي، ولكنني في الوقت الحاضر لا أكاد أعرف شيئاً عن تفاصيل الجريمة.

فأومأ المحقق للمسيو بكس لكي يسرد تفاصيل الجريمة على بوارو، وقال هذا:

- في هذا الصباح، عندما هبطت الخادم العجوز فرانسواز لتبدأ

عملها، وجدت باب الفيلا الأمامي مفتوحاً على غير المعتاد، فخشيت أن تكون الفيلا قد تعرضت للسرقة، فأسرعت إلى قاعة الطعام حيث وجدت الأدوات الفضية في مكانها، ومن ثم اطمأنت إلى أن مخدومها خرج للتريض في ساعة مبكرة وترك الباب مفتوحاً سهواً.

- معذرة للمقاطعة يا سيدي، ولكن هل كان من عادته أن يخرج في الصباح للتريض!

- لا.. ولكن الخادم فرانسواز كانت تعتقد أن الانجليز قوم مجانين، وأنهم يتصرفون عادة بأساليب شاذة، ولما ذهبت لاستدعاء سيدتها فوجئت بالخادمة الشابة ليونى تصرخ عندما اكتشفت أن مدام رينولد ملقاة في غرفة نومها مكممة الفم، مقيدة اليدين، وفي ذلك الوقت جاءت الأخبار باكتشاف جثة المستر رينولد، وقد مات بطعنة خنجر في الظهر.

- أين؟

- هذا هو أعجب جانب في الموضوع كله، لقد عثر على الجثة ملقاة على وجهها في قبر مفتوح؟

- ماذا؟

- نعم.. في حفرة حديثة الحفر على مسافة خطوات قليلة خارج حدود أراضي الفيلا.

- وهل كانت الوفاة قد تمت منذ مدة طويلة

وهنا أجاب الدكتور ديورانت:

- لقد فحصت الجثة في العاشرة من هذا الصباح وتبين لي أن الوفاة قد حدثت قبل سبع ساعات على الأقل وعشر ساعات على الأكثر.

- هذا يعني أن الجريمة ارتكبت فيما بين منتصف الليل والثالثة صباحاً؟

- تماماً.. وتقول المسز رينولد إنها ترجح وقوع الجريمة فيما بعد

الساعة الثالثة، ولقد تمت الوفاة فوراً، وليس من المعقول أن تكو
الحادثة انتحاراً.

وأومأ بوارو برأسه..

بينما استطرد المسيو هوتيت حديثه قائلاً:

- بعد إنقاذ مدام رينولد من القيود والكمامة، كانت في حال
شديدة من الاضطراب والضعف، ويبدو - من حديثها - أن الن
مقنعين دخلا غرفة النوم وكمماها وقيداها، وأرغما زوجها عل
الخروج معهما، ونحن لم نعرف هذا منها شخصياً، وإنما ذكرت
حدث للخادمتين اللتين أنقذتاها من الكمامة والقيود. ولما سمع
بوقوع الجريمة، ازداد اضطرابها إلى حد أن الدكتور ديورانت قد
لها - عقب وصوله - بعض الحبوب المنومة المهدئة للأعصاب، ولهذ
لم نستطع أن نسألها حتى الآن، ولكن من المؤكد أنها ستصحو متمالك
أعصابها وقادرة على مواجهة الموقف.

وقال بوارو:

- وماذا عن المقيمين بالفيللا؟

- إن بها الخادم العجوز فرانسواز، وهي مديرة البيت، وقد عاش
فيه سنوات طويلة مع أصحاب الفيللا السابقين، ولما انتقلت ملكيته
إلى المستر رينولد، استبقاها للعمل لديه. ثم هناك أيضاً الأختان
دينيس وليونيه أولارد، وهما تسكنان في ميرلينفيل وتنحدران من
والدين محترمين جداً، وكذلك سائق السيارة الذي جاء به المست
رينولد من انجلترا، وهو الآن في إجازة. وأخيراً مدام رينولد، والابن
الشاب جاك رينولد الذي سافر في مهمة في الوقت الحاضر.

وأومأ بوارو برأسه..

ونادى المحقق على أحد الشرطيين قائلاً:

- مارشود؟

ولما أقبل الشرطي قال له المحقق:

- أحضر إلينا فرانسواز!

وأقبلت فرانسواز..

وكانت امرأة في العقد السادس من عمرها، يطل الخوف من
عينيها وهي تسمع المحقق يسألها:

- هل اسمك فرانسواز آرشير؟

- نعم يا سيدي..

- منذ متى وأنت تعملين في هذه الفيللا؟

- منذ أحد عشر عاماً مع أصحابها السابقين، ولما اشتراها المستر
رينولد قبلت البقاء للعمل لديه، ولم أكن أتصور يوماً..

- نعم.. نعم.. ولكن ما هي مسألة الباب الخارجي؟ من هو
المسؤول عن إغلاقه ليلاً؟

- أنا يا سيدي، إني أحرص دائماً على إغلاقه ليلاً؟

- وفي الليلة الماضية؟

- أغلقته من الداخل كالمعتاد.

- هل أنت واثقة من هذا؟

- كل الثقة.. وأقسم على هذا.

- كم كانت الساعة عندئذ؟

- في الساعة المعتادة، أي في نحو العاشرة والنصف مساء.

- وماذا عن بقية المقيمين في الفيللا؟ هل كانوا قد أووا إلى غرف
نومهم؟

- كانت مدام رينولد قد أوت إلى غرفتها قبل ذلك بوقت قصير،
وصعدت دينيس وليونيه إلى غرفتهما معي، وبقي المسيو رينولد في
غرفة مكتبه.

- إذن فالمستر رينولد هو الذي فتح الباب.

فهزت فرانسواز كتفيها وقالت:

- ولماذا يفعل هذا ما دمت أنا قد أغلقته قبل أن أصعد إلى

فلما حضرت سألها:

ـ هل رأيت بقايا الشيك الذي سقطت منها هذه الورقة.

ـ نعم يا سيدي، كانت أوراق الشيك الممزقة ملقاة على السجادة فجمعتها وألقيت بها في المدفأة، ولا شك أني غفلت عن هذه الورقة..

وصرفها بكس في يأس؟

وبحث عن دفتر الشيكات.

فلما وجده، حاول أن يعرف ـ من كعب الشيك الأخير ـ الاسم الكامل لمن كتب الشيك له، ولكنه وجد الكعب خالياً من أية إشارة إلى هذا؟

وقال بوارو يشجعه:

ـ لا تيأس يا صديقي.. لا شك أن مدام رينولد ستخبرنا من يكون هذا الشخص المجهول، سواء كان رجلاً أم امرأة.

ـ نعم.. نعم.. هذا صحيح، هلم نمضي!

وفي أثناء الانصراف قال بوارو:

ـ لا شك أن المسيو رينولد، قد استقبل في هذه الغرفة زائرة الأمس..

ـ نعم.. وكيف عرفت؟

فأمسك بوارو بين أصابعه بشعرة سوداء طويلة وقال:

ـ لقد وجدت هذه الشعرة على مسند أحد المقاعد وهي شعرة نسائية..

وتقدمنا المسيو بكس إلى الجهة الخلفية من الفيلا حيث رأينا كوخاً صغيراً قائماً على جانب الجدار الخلفي.

وأخرج بكس من جيبه مفتاحاً وفتح باب الكوخ وهو يقول:

ـ لقد نقلنا الجثة إلى هذا الكوخ بعد أن فرغ المصورون من عملهم.

ورأينا جثة القتيل على الأرض، مغطاة بملاءة بيضاء..

ورفع بكس طرف الملاءة عن الوجه.

وكان القتيل رجلاً في العقد السادس من عمره، أشيب الشعر، متوسط الطول، حليق الوجه، ملوح البشرة، كرجل عاش معظم حياته في المناطق الاستوائية.

وكانت ملامح وجهه، في الموت، تنم بوضوح عن الدهشة والفزع في وقت واحد.

وحرك بوارو الجثة على جنبها وهو يقول بعد أن شاهد بقعة الدم الجافة تلوث المعطف الرمادي القاتم:

ـ الواضح أنه طعن من الخلف، هذا لا شك فيه، هل عرفتم نوع السلاح الذي ارتكبت به الجريمة!

ـ لقد وجدناه في الجرح، وهو فتاحة خطابات على شكل خنجر صغير له مقبض أسود لامع، ونصل صغير حاد.. إنه موضوع في هذا الإناء الزجاجي؟

وأشار المحقق إلى إناء زجاجي في ركن الكوخ، وتناول بوارو الخنجر بمنديل وتحسس نصله قائلاً:

ـ إنه حاد جداً..

ـ ولكنا للأسف لم نجد عليه أية آثار للبصمات، هذا يدل طبعاً على أن القاتل كان يرتدي القفاز.

فقال بوارو باحتقار:

ـ إن المجرم المبتدىء أصبح يعرف هذه الحقيقة، والأسوأ من هذا أصبح يعرف أيضاً كيف يترك وراءه بصمات أصابع مزيفة إمعاناً في تضليل الشرطة.

ثم أردف قائلاً في تعجب.

ـ إن المجني عليه يرتدي تحت المعطف ملابس منزلية؟

ـ نعم.. وقد تعجبنا لهذا أيضاً.

- لا . .

- مَن من الخدم هبط أولاً في الصباح؟

- أنا يا سيدي، وقد رأيت باب الفيللا مفتوحاً.

- وماذا عن نوافذ الطابق الأرضي . . هل كانت كلها محكمة الاغلاق؟

- نعم . . كلها . . ولم يكن بها ما يثير الريبة؟

- حسناً يا فرانسواز . . يمكنك الانصراف . .

ولما وصلت الخادم العجوز إلى عتبة الباب . . استدارت قائلة :

- يمكنني أن أقول لكم يا سادة إن مدام دوبريل امرأة شريرة . . امرأة فاسدة، هذا ما أقرره على مسئوليتي . .

واستدعى المحقق الخادمة الشابة ليونيه أولارد، فلما حضرت باكية مضطربة، سألها المحقق . .

وعرف منها أنها هي التي اكتشفت وجود سيدتها مكممة الفم مقيدة اليدين بجوار السرير في غرفة نومها، وإنها لم تسمع أو تعرف شيئاً غير هذا .

وتبعتها أختها دينيس في الشهادة، فأيدت أقوالها، واعترفت بأن سيدها المستر رينولد كان قد تغير كثيراً في خلال الشهر الأخير .

- كان يزداد يوماً بعد يوم حزناً واكتئاباً وقلقاً، ولا شك أن جمعية المافيا السرية كانت السبب في هذا . ولا شك أن اثنين من أعضائها المقنعين كانا يطاردانه ليقتلاه!

وأومأ المحقق برأسه قائلاً :

- ربما . . والآن هل أنت التي استقبلت مدام دوبريل عندما جاءت لزيارة المسيو رينولد مساء أمس؟

- لا . . لم استقبلها مساء أمس . . وإنما مساء أول أمس .

- ولكن فرانسواز قالت إن مدام دوبريل جاءت أمس مساء لزيارة

المسيو رينولد؟

- لا يا سيدي . . لقد جاءت فعلاً سيدة لزيارة المسيو رينولد أمس مساء، ولكنها لم تكن مدام دوبريل؟

ودهش المحقق، وأعاد السؤال على الفتاة، ولكنها تمسكت بالإجابة وقالت :

- إن الزائرة كانت سوداء الشعر وأصغر سناً وأقصر قامة من مدام دوبريل . .

وسألها المحقق :

- هل سبق لك رؤية هذه السيدة؟

- لا يا سيدي . . اطلاقاً، ولكنني اظن أنها إنجليزية .

- إنجليزية؟

- نعم يا سيدي . . لقد سألتني عن المسيو رينولد بالفرنسية، ولكن لهجتها كانت إنجليزية النطق، ولما خرجت من غرفة المكتبة مع السيد، كانا يتحدثان بالإنجليزية .

- هل سمعت ما كانا يقولان؟ وهل كان في مقدورك أن تفهمي حديثهما؟

- أنا؟ إنني أتحدث الإنجليزية جيداً جداً، ولكن السيدة كانت تتحدث بسرعة فلم أفهم حديثها أما السيد فقد سمعت عبارته الأخيرة وهو يودعها عند الباب؟

وتوقفت دينيس برهة .

ثم قالت :

- سمعته يقول لها : «نعم . . نعم . . ولكن أرجوك بحق الله أن تنصرفي الآن» .

وصرف المحقق دينيس، وبعد لحظات من التفكير، أعاد استدعاء فرانسواز وسألها عما إذا كانت واثقة بأن الزائرة هي مدام دوبريل، فأكدت أنها هي، واتهمت زميلتها دينيس بالغرور والغباء وحب

التظاهر بإتقان اللغة الإنجليزية.

ثم أكدت أيضاً أن المسيو رينولد لم يكن يتحدث الانجليزية مع أحد اطلاقاً، إلا مع ابنه جاك الذي لم يكن يحسن الحديث بالفرنسية.

وصرفها المحقق في النهاية.

ثم طلب استدعاء السائق.

ولكنه لم يلبث أن علم أن المستر رينولد منحه في اليوم السابق إجازة لبضعة أيام لأنه لم يكن في حاجة إليه.

وهنا بدت على وجه بوارو إمارات القلق والدهشة، ثم سأل فرانسواز بعد أن طلب استدعاءها مرة ثالثة:

- هل كان المسيو رينولد يقود سيارته في غياب السائق؟

- لا يا سيدي..

- هل أنت واثقة من هذا؟

- نعم.. كل الثقة..

ولما انصرف، قلت لبوارو:

- ما الذي يثير القلق في نفسك.

- ألم يذكر المسيو رينولد في خطابه إليّ أنه سيرسل إليّ سيارة لانتظاري في ميناء كاليه؟

- ربما يعني سيارة مأجورة؟

- وما دام كان يريد مني الحضور اليوم، فلماذا يمنح سائقه إجازة أمس؟ ولماذا لم يستبقه حتى اليوم ليرسله بالسيارة لاستقبالنا بدلاً من إرسال سيارة مأجورة؟

وبعد لحظة تفكير..

أردف بوارو قائلاً:

- ترى هل أرسله في إجازة قبل وصولنا لغرض خاص في نفسه؟

- ٤ -

وغادرت فرانسواز الغرفة..

وبعد برهة سأل المحقق المسيو بكس:

- مسيو بكس.. إن لدينا الآن شهادتين متناقضتين.. فأيهما نصدق؟.

وقال بكس بلهجة تأكيد:

- شهادة دينيس بلا شك، إنها هي التي استقبلت الزائرة، ومن المؤكد أن فرنسواز تغار من دينيس وتحاول تكذيبها، كما أن لدي معلومات تؤكد وجود علاقة للمسيو رينولد بامرأة أخرى.

وهتف المحقق قائلاً وهو يتناول رسالة من بين الأوراق الموضوعة أمامه:

- آه.. لقد نسينا أن نخبر المسيو بوارو بهذا.

ثم سلم الرسالة إلى بوارو قائلاً:

- لقد وجدنا هذه الرسالة في جيب معطف المسيو رينولد.

وبسط بوارو الرسالة التي كانت مكمشة وبالية، ومكتوبة بالإنجليزية:

«يا حبيبي..

«لماذا انقطعت عن الكتابة إليّ منذ مدة طويلة، إنك لا تزال تحبني.. أليس كذلك؟ لقد كان خطابك الأخير بارداً وعجيباً، إني

أخشى أن يكون حبك لي قد انتهى.. ماذا يمكنني أن أفعل إذا كنت قد توقفت عن حبي، إنني قد أقتل نفسي، لأني لا أستطيع الحياة بدونك، أحياناً أتخيل أن هناك امرأة أخرى في حياتك.. ولكن كن على حذر.. إنني لن أتردد في قتلها حتى لا تحرمني منك، ولكن.. ما هذا الكلام الفارغ.. إنك تحبني ولا شك، وأنا أحبك، أحبك، أحبك..

«حبيبتك بيللا»

ولم يكن بالرسالة عنوان للكاتبة.

وأعادها بوارو إلى المحقق الذي قال:

ـ الواضح أن المسيو رينولد كان على علاقة بامرأة، هي بيللا، ثم جاء للاقامة هنا، وتعرف بمدام دوبريل، وبدأ معها علاقة جديدة جعلت حبه للأخرى يهدأ، وارتابت هذه الأخرى ـ أعني بيللا ـ في الأمر، فأرسلت هذا الخطاب الذي يحمل في ثناياه تهديداً واضحاً. إن غيرة المرأة لا رادع لها، كما أن إصابة المسيو رينولد في ظهره تدل على أن القاتل امرأة!

فأومأ بوارو برأسه وقال:

ـ نعم.. الطعنة في الظهر تدل على أن الجاني امرأة، ولكن الحفرة الكبيرة؟ إن أية امرأة لا تستطيع بمفردها أن تحفر حفرة عميقة كهذه، إنها من عمل رجل.

فهتف المسيو بكس قائلاً:

ـ نعم.. نعم.. هذا صحيح، لقد فاتنا هذه الملاحظة؟

وعاد المحقق يقول:

ـ لقد بدا الأمر في أوله بسيطاً، ولكنه لم يلبث أن تعقد حين سمعنا بأمر الرجلين المقنعين، وبالرسالة التي وصلتك يا مسيو بوارو، وبهذه المناسبة، هل تعتقد أن المسيو رينولد أرسل يستدعيك لحمايته من بيلا؟

فهز بوارو رأسه وقال:

ـ لا أعتقد أن رجلاً مثل رينولد يطلب من أحد أن يحميه من امرأة أياً كانت هذه المرأة، ثم لا تنسى أنه كان مغامراً في بلاد نائية فكيف يطلب الحماية من امرأة؟

فأومأ المحقق برأسه..

بينما قال بكس:

ـ لسوف أرسل برقية إلى مدير الشرطة في سنتياجو مطالباً بأن يرسلوا إلينا تقريراً كاملاً عن حياة المجني عليه في سنتياجو، وعن أعماله وطبيعتها، وعن علاقاته النسائية، وعن أعدائه إن كان له أعداء، ولا شك أن هذا كله سيكشف كثيراً عن أسرار هذه الجريمة.

وقال بوارو:

ـ أحسنت يا مسيو بكس، هذا ما يجب أن تفعله؟

ثم استدار إلى المحقق وسأله:

ـ هل وجدتم رسالة أخرى للمدعوة بيللا، بين أوراق المسيو رينولد؟

ـ لا.. لم نجد أية رسالة أخرى رغم ما بذلناه من بحث طويل، بل لم نجد شيئاً له قيمة، وكل ما وجدناه وصية جديدة..

وتناول ورقة كبيرة من السجل الموضوع أمامه وقال:

ـ ترك ألف جنيه لسكرتيره الخاص المستر ستونر، وبهذه المناسبة يقيم المستر ستونر في انجلترا منذ ثلاثة أسابيع تقريباً، أما باقي الثروة فقد تركها كلها لزوجته المحبوبة، والوصية قانونية موقع عليها من اثنين من الخدم كشهود؟

وسأل بوارو:

ـ ومتى كتبت هذه الوصية الجديدة؟

ـ منذ أسبوعين، أي منذ الوقت الذي بدأ يشعر فيه بالخطر الذي يتهدده. ولكن من الخطأ أن نسرع في الاستنتاج من الواضح أن هذه

الوصية تدل على مبلغ حبه وتقديره لزوجته رغم كل نزواته وعلاقاته النسائية..

وقال المحقق:

- نعم. ولكن هذه الوصية تظلم الابن جاك لأنها ستتركه معتمداً تماماً على والدته. فإذا حدث وتزوجت مرة أخرى، فقد يسيطر زوجها الجديد عليها ويظفر بالثروة كلها.

وهز بوارو كتفيه وقال:

- إن الرجل حيوان مغرور، ولعل المسيو رينولد لم يفكر يوماً في أن زوجته قد تتزوج بعده.

- ربما يكون الأمر كما تقول... وأعتقد الآن يا مسيو بوارو أنك تريد مشاهدة المكان الذي وقعت فيه الجريمة. إنني آسف لأن الجثة رفعت من ذلك المكان، ولكن الصور الفوتوغرافية ستبين على وجه التحديد مكانها من المنطقة.

ونهضنا جميعاً، ولما غادرنا الغرفة أشار بوارو إلى باب غرفة مقابلة وقال:

- أعتقد أن هذه هي غرفة المكتب.

فقال المحقق وهو يفتح بابها:

- نعم.. أتحب أن تلقي نظرة عليها..

وكانت غرفة المكتب صغيرة أنيقة، ليس فيها غير خزانة كتب وبضعة مقاعد وثيرة ومنضدة مستديرة للكتابة، عليها أحدث ما أصدرته المطابع من الكتب الإنجليزية.

وألقى بوارو نظرات فاحصة على الغرفة..

ثم مسح بيده على سطح المنضدة.

وتمتم بإعجاب:

- لا أثر لذرة غبار..

- إن الغرفة نظفت جيداً!

ولمح بوارو ثنية في طرف السجادة ولما كان لا يطيق أن يرى شيئاً في غير موضعه، فقد انحنى ليبسط الطرف المثني، وهنا عثرت يده على ورقة صغيرة تحتها..

فتناولها وهو يقول:

- إن الخدم في فرنسا، كما هم في انجلترا.. يتكاسلون عادة من الكنس تحت السجاجيد..

ونظرنا جميعاً إلى قصاصة الورق، وكان المحقق أسرع مني في التعرف عليها إذ قال:

- إنها قطعة ورق من شيك ممزق؟

وكان على الورقة هذا الاسم «دوفين» مكتوباً بخط سريع.

وقال بكس:

- هذه الورقة جزء من شيك يصرف لأمر شخص اسمه دوفين.

وقال بوارو:

- أعتقد أنه شيك كتبه المسيو رينولد، لأن الخط خطه.

ولما قورن الخط بمفكرة كانت على المنضدة، ثبتت هذه الحقيقة.

وقال بكس:

- كيف غفلت عن هذه الورقة أثناء بحثي عن الأدلة في هذه الغرفة!

وضحك بوارو قائلاً:

- لا تنس أبداً هذا المبدأ وابحث تحت السجاجيد! هذا هو مبدئي، ولما رأيت الثنية في طرف السجادة، خطر لي أني قد أجد تحتها شيئاً.. ولا شك أن فرانسواز، أو إحدى الأختين غفلت عن تنظيف ما تحت السجادة. والواضح أن المسيو رينولد كان قد كتب هذا الشيك أمس مساء، ثم مزقه لسبب ما.

وكان بكس في خلال هذا قد أمر باستدعاء فرانسواز..

فلما حضرت سألها:

ـ هل رأيت بقايا الشيك الذي سقطت منها هذه الورقة.

ـ نعم يا سيدي، كانت أوراق الشيك الممزقة ملقاة على السجادة فجمعتها وألقيت بها في المدفأة، ولا شك أني غفلت عن هذه الورقة.

وصرفها بكس في يأس؟

وبحث عن دفتر الشيكات.

فلما وجده، حاول أن يعرف ـ من كعب الشيك الأخير ـ الاسم الكامل لمن كتب الشيك له، ولكنه وجد الكعب خالياً من أية إشارة إلى هذا؟

وقال بوارو يشجعه:

ـ لا تيأس يا صديقي.. لا شك أن مدام رينولد ستخبرنا من يكون هذا الشخص المجهول، سواء كان رجلاً أم امرأة.

ـ نعم.. نعم.. هذا صحيح، هلم نمضي!

وفي أثناء الانصراف قال بوارو:

ـ لا شك أن المسيو رينولد، قد استقبل في هذه الغرفة زائرة الأمس..

ـ نعم.. وكيف عرفت؟

فأمسك بوارو بين أصابعه بشعرة سوداء طويلة وقال:

ـ لقد وجدت هذه الشعرة على مسند أحد المقاعد وهي شعرة نسائية..

وتقدمنا المسيو بكس إلى الجهة الخلفية من الفيلا حيث رأينا كوخاً صغيراً قائماً على جانب الجدار الخلفي.

وأخرج بكس من جيبه مفتاحاً وفتح باب الكوخ وهو يقول:

ـ لقد نقلنا الجثة إلى هذا الكوخ بعد أن فرغ المصورون من عملهم.

ورأينا جثة القتيل على الأرض، مغطاة بملاءة بيضاء.

ورفع بكس طرف الملاءة عن الوجه.

وكان القتيل رجلاً في العقد السادس من عمره، أشيب الشعر، متوسط الطول، حليق الوجه، ملوح البشرة، كرجل عاش معظم حياته في المناطق الاستوائية.

وكانت ملامح وجهه، في الموت، تنم بوضوح عن الدهشة والفزع في وقت واحد.

وحرك بوارو الجثة على جنبها وهو يقول بعد أن شاهد بقعة الدم الجافة تلوث المعطف الرمادي الفاتح:

ـ الواضح أنه طعن من الخلف، هذا لا شك فيه، هل عرفتم نوع السلاح الذي ارتكبت به الجريمة!

ـ لقد وجدناه في الجرح، وهو فتاحة خطابات على شكل خنجر صغير له مقبض أسود لامع، ونصل صغير حاد.. إنه موضوع في هذا الإناء الزجاجي؟

وأشار المحقق إلى إناء زجاجي في ركن الكوخ، وتناول بوارو الخنجر بمنديل وتحسس نصله قائلاً:

ـ إنه حاد جداً..

ـ ولكننا للأسف لم نجد عليه أية آثار للبصمات، هذا يدل طبعاً على أن القاتل كان يرتدي القفاز.

فقال بوارو باحتقار:

ـ إن المجرم المبتدىء أصبح يعرف هذه الحقيقة، والأسوأ من هذا أصبح يعرف أيضاً كيف يترك وراءه بصمات أصابع مزيفة إمعاناً في تضليل الشرطة.

ثم أردف قائلاً في تعجب.

ـ إن المجني عليه يرتدي تحت المعطف ملابس منزلية؟

ـ نعم.. وقد تعجبنا لهذا أيضاً.

وفي تلك اللحظة سمعنا طرقاً على الباب.
وأقبلت فرانسواز تقول:
- إن سيدتي قد تنبهت وهي على استعداد لاستقبال السيد المحقق!
وفيما نحن ننصرف إلى الفيلا، قال بوارو وهو يتأمل الجثة بعد أن أعاد بكس الغطاء على الوجه:
- إن معطفه هذا يبدو أطول من مقاسه العادي!

- ٥ -

وفيما نحن نصعد الدرج إلى غرفة مسز رينولد، قال بوارو بعد أن جس بقدميه جوانب الدرج كله:
- إنه يعبر صريراً يوقظ الموتى؟
وعلى رأس الدرج رأينا ممراً يتفرع منه.
وقال بكس:
- هذا الممر الصغير يؤدي إلى جناح الخدم.
وفي الممر المقابل سرنا حتى وقفنا أمام باب طرقت فرانسواز عليه وسمعنا صوتاً خافتاً يأذن لنا بالدخول.
وكانت الغرفة واسعة تطل على البحر الذي كان يبعد عنها نحو نصف كيلومتر.
وعلى متكأ وثير، مزود بالوسائد، رأينا مسز رينولد راقدة في نصف جلسة، وكانت سيدة تلفت النظر بقوة شخصيتها رغم شحوب وجهها وهزال جسمها.
وكانت في منتصف العمر، يخط الشيب شعرها الأسود الغزير، ولكن الحيوية المتدفقة منها كانت تؤكد شخصيتها وتفرض عليك احترامها
وحيتنا بإيماءة من رأسها وقالت:
- أرجوكم أن تتكرموا بالجلوس؟

وقال المحقق هوتيت، بعد أن جلس كاتب التحقيق بجواره إلى نضد صغير:

ـ أرجو يا مدام رينولد ألا يزعجك أن تقصي علينا ما حدث؟

ـ لا لا يا سيدي، إنني أعرف قيمة الوقت إذا كان عليكم أن تقبضوا على هؤلاء المجرمين!

ـ حسناً يا سيدتي. سوف أسألك وأرجو أن تجيبي بقدر ما تستطيعين من دقة، كم كانت الساعة حين أويت إلى فراشك؟

ـ كانت التاسعة والنصف مساء، وكنت متعبة بعض الشيء...

ـ ومتى تبعك زوجك؟

ـ بعد نصف ساعة تقريباً

ـ هل كان يبدو عليه القلق أو الضيق؟

ـ لا.. كان كالمعتاد..

ـ وماذا حدث بعد ذلك؟

ـ نمت.. ثم استيقظت على يد تضغط على فمي، وحاولت عبثاً أن أصرخ، وكان بالغرفة رجلان مقنعان، أحدهما كان يحاول منعي من الصياح!

ـ هل يمكنك أن تصفيهما لنا بقدر الامكان؟

ـ كان أحدهما طويلاً أسود اللحية، والآخر قصيراً، ممتلئ الجسم تميل لحيته إلى الاحمرار، وكانا يغطيان عيونهما بحافتي قبعتيهما.

ـ حسناً يا مدام.. وبعد!

ـ كان القصير هو الذي يمنعني من الصياح، ثم كممني وربط يدي وقدمي بقوة، بينما كان الآخر يهدد زوجي بالخنجر الصغير الذي كنت استعمله كفتاحة خطابات، والذي كان موضوعاً على المنضدة بالغرفة، وبعد أن فرغ القصير من أمري، أرغما زوجي على الخروج معهما، ورغم حالة الاغماء التي كانت تعتريني عندئذ، فقد

حاولت الانصات إليهما بكل قواي، وقد استطعت أن أفهم مقاطع من لغتهما، وكانت لغة اسبانية منتشرة في أمريكا الجنوبية، وكانا يطالبان زوجي بشيء ما.

وقد سمعتهما يقولان له: «أنت تعرف ما نريد.. السر.. أين هو؟» وغمغم زوجي بكلمات لم أفهمها، وعندئذ قال له أحدهما: «إنك كاذب، نحن نعرف أنه لديك.. أين المفاتيح»، ثم سمعت أصوات أدراج تفتح في الغرفة المجاورة، وكان بها خزانة حائط لزوجي يضع فيها مبالغ كبيرة من المال مع بعض الأوراق، وقد علمت من ليونيه أن الخزانة بقيت مفتوحة، والأوراق تعرضت للعبث، والمال غير موجود.

ولكن يبدو أنهما لم يجدا ما يبحثان عنه، لأني سمعت أحدهما يسب ويلعن ويأمر زوجي بالخروج معهما قبل أن يرتدي ملابس الخروج، واجتازا غرفة نومي أثناء خروجهم، واستطاع زوجي أن يقول لي وهو يحاول اصطناع الهدوء «لا تخافي يا إلواز، لسوف ينتهي كل شيء على خير، وسأعود في الصباح».. ولكنني كنت أرى الفزع يطل من عينيه.

ـ ألم يكن للغرفة المجاورة باب آخر؟

ـ لا.. إنها غرفة الملابس، وليس لها إلا باب واحد يفضي إلى غرفة النوم هذه، ويبدو أنني وقعت في حالة اغماء ولم أنتبه إلا على ليونيه وهي تدلك يدي وقدمي وتقدم لي بعض الشراب المنعش.

وقال المسيو هوتيت:

ـ ألديك أية فكرة عما كان الرجلان يريدانه من زوجك؟

ـ لا.. مطلقاً.

ـ هل كنت تشعرين بأن زوجك يعيش في خوف من شيء ما؟

ـ نعم. لقد لاحظتُ التغير الذي طرأ عليه أخيراً.

ـ منذ متى؟

ـ منذ أسبوعين تقريباً.

- ألم تسأليه عن السبب؟
- سألته مرة، ولكنه رواغني في الإجابة، فتركته وشأنه.
- هل عرفت أنه طلب من أحد رجال المباحث المخصوصيين أن يحضر لحمايته؟
فقالت السيدة في دهشة:
- أحد رجال المباحث؟ لا مطلقاً!
فأشار المحقق إلى بوارو، ثم قال وهو يقدم إليها الرسالة التي أرسلها إليه المجني عليه:
- هذا هو السيد الذي أعنيه، وهذه هي الرسالة!
وكانت دهشتها عميقة وهي تقول بعد أن قرأت الرسالة:
- لم يكن لدي أية فكرة عن هذا الموضوع.
- إذن أرجوك يا سيدتي أن تكوني صريحة معنا، هل حدث أثناء إقامة زوجك في أمريكا الجنوبية ما يمكن أن يلقي بعض الضوء على هذه الجريمة؟
فتفكرت المسز رينولد طويلاً.. ثم قالت:
- إنني لا أتذكر شيئاً، ولكن لا شك أنه كان لزوجي أعداء كثيرون، وهذا شيء طبيعي في حياة الرجل الذي يتفوق على غيره في مضمار الثراء؟
وقال بكس:
- هل يمكن أن تحددي الوقت الذي وقع فيه هذا الحادث؟
- نعم.. كانت ساعة البهو تدق الثانية بعد منتصف الليل.
وفجأة قال بكس وهو ينحني ويلتقط شيئاً بجوار المنضدة:
- وهذه أيضاً ساعة يد وقعت من على المنضدة وتحطمت، لا شك أنها ستحدد لنا وقت وقوع الحادث تماماً..
ولما نظر فيها برفق، هتف قائلاً:
- يا إلهي!

- ماذا حدث؟
- إن العقربين يشيران إلى الساعة السابعة.
وهتف المحقق قائلاً:
- ماذا؟
ولكن بوارو ابتسم وقال وهو يضع الساعة على أذنه:
- إن زجاج الساعة فقط هو الذي انكسر، أما الساعة فلا تزال تدق.
وابتسم الجميع لهذا التفسير المعقول.
ولكن المحقق هتف:
- ولكن الساعة ليست السابعة الآن.
وهنا قال بوارو بوجه ينم عن الحزم:
- لا.. إن الساعة الآن بعد الخامسة بقليل، لعل هذه الساعة التي تحطم زجاجها تقدم كثيراً يا مدام رينولد؟
فقالت مسز رينولد:
- لا.. إنها مضبوطة، ولكن لعلها تقدم أحياناً، إلا أنها لا تقدم بهذه الدرجة.
وهز المحقق كتفيه وترك أمر الساعة واستأنف أسئلته للمسز رينولد فقال:
- لقد وجد باب الفيلا مفتوحاً في هذا الصباح يا مدام رينولد، والواضح أن المجرمين دخلا منه، إلا أننا لم نجد عليه آثار الفتح بالقوة، فهل يمكن أن تفسري لنا هذا يا سيدتي؟
- ربما خرج زوجي للتريض قبل أن يصعد للنوم، ثم نسي أن يغلقه من الداخل بالرتاج..
- هل كان من عادته أن يفعل هذا في بعض الأوقات؟
- نعم.. وكان زوجي ضعيف الذاكرة إلى حد كبير.
وسأل المستر هوتيت:

- ما دام المجرمان قد ارغما المسيو رينولد على الخروج معهما، فلا بد أن «السر» الذي كانا يريدانه يقع في مكان بعيد..

فهزت المسز رينولد رأسها وقالت:

- إنه ليس بعيداً جداً أو قريباً جداً.. لأن زوجي اخبرني انه سيعود في الصباح

وسأل بوارو قائلاً:

- في أي وقت يغادر آخر قطار محطة ميرلنفيل؟

- يغادر آخر قطار المحطة إلى جهة في الحادية عشرة وخمس دقيقة، والآخر يغادرها إلى الجهة الأخرى في الثانية عشرة وسبع عشرة دقيقة، ولكن المرجح أن يكون المجرمان قد رحلا في سيارة.

فأومأ بوارو برأسه في خيبة أمل وقال:

- نعم. هذا احتمال شبه مؤكد!

وعاد المستر هوتيت يسأل المسز رينولد:

- أتعرفين أحداً باسم «دوفين»؟

- دوفين؟ لا.. إنني في الوقت الحاضر لا أتذكر هذا الاسم.

- ألم تسمعي زوجك، أو أي أحد آخر يذكر هذا الاسم امامك؟

- لا.. مطلقاً.

- هل تعرفين سيدة اسمها الأول بيللا؟

وهزت المسز رينولد رأسها نفياً..

فعاد يسألها:

- هل كنت تعرفين أن زوجك استقبل زائرة أمس؟

فاحمر وجه السيدة ولكنها هزت رأسها وقالت:

- لا.. من تكون؟

ورأى المستر هوتيت أن حالة المسز رينولد لا تحتمل المزيد من الارهاق، فتجاهل سؤالها، وأومأ برأسه إلى أحد مساعديه.

فغاب هذا لحظات، ثم عاد يحمل الاناء الزجاجي الذي رأيناه

في ركن الكوخ.

وقال مستر هوتيت لمسز رينولد وهو يشير إلى فتاحة الورق:

- هل سبق أن رأيت هذا؟

فهتفت المسز رينولد قائلة:

- عجباً؟ إنه الخنجر الصغير الذي استعمله كفتاحة للورق.

ثم أردفت قائلة في فزع وهي تشير إلى الدماء الجافة عليه:

- أهذه دماء؟

- نعم يا سيدتي. إنه الخنجر الذي قتل به زوجك؟ هل أنت واثقة أنه نفس الخنجر الذي كان على النضد بجوار فراشك في الليلة الماضية؟

- نعم.. بكل تأكيد.. لقد كان هدية من ابني جاك، وكان طياراً في الحرب العالمية، وقد صنع لي هذا الخنجر من حطام طائرة المانية وأهداه لي كهدية تذكارية عن أيام الحرب.

- آه.. فهمت.. وهذا يدفعنا إلى السؤال عن ابنك، أين هو الآن، يجب بطبيعة الحال أن نبرق إليه بما حدث.

- جاك؟ إنه في الطريق إلى بيونس ايرس.

- ماذا؟

- نعم.. لقد ابرق إليه والده امس، وكان قد أرسله في مهمة إلى باريس، ثم طلب منه في البرقية أن يمضي فوراً إلى امريكا الجنوبية، وكانت هناك باخرة في ميناء شيربورج تستعد للإبحار إلى بيونس ايرس، فطلب زوجي منه أن يستقلها.

- هل تعرفين لماذا أرسل زوجك ابنكما جاك إلى بيونس ايرس؟

- لا.. ولكني أعرف أن بيونس ايرس لم تكن هي غاية جاك، لأنه كان عليه أن يمضي منها إلى سنتياجو.

وهتف المحقق المسيو هوتيت، ومدير الشرطة المسيو بكس في صوت واحد:

- ستيلجو؟

وفي تلك اللحظة أقبل بوارو الذي كان واقفاً شارد الذهن أمام النافذة، وانحنى أمام المسز رينولد وقال لها:

- معذرة يا سيدتي.. هل يمكن أن أفحص معصمي يديك؟

ورغم دهشة المسز رينولد، فقد قدمت إليه معصميها.

وبعد أن فحصهما وتأكد من عنف القيد الذي ترك آثاراً غائرة في المعصمين، قال:

- لا شك أن هذا القيد مؤلم جداً؟

وقال المستر هوتيت:

- لا بد أن نتصل بسرعة بالمسيو جيرو، ونرجو أن نجده في مكان قريب حتى نجنبك المزيد من الألم.

فقالت المسز رينولد:

- أتعني التعرف على الجثة؟

فهز المستر هوتيت رأسه وقال:

- نعم.

- إنني امرأة قوية الاحتمال يا سيدي، وأستطيع أن أواجه أي موقف، وإني مستعدة الآن!

- يمكنك أن تقومي بهذه المهمة غداً صباحاً إذا شئت.

- بل أفضل أن أقوم بها الآن وأفرغ منها.

ثم التفتت إلى الطبيب وقالت له:

- أرجو إذا سمحت أن تجعلني أستند على ذراعك.

وقدم الطبيب ذراعه بسرعة للسيدة رينولد، ومضوا جميعاً إلى الكوخ، وقالت المسز رينولد:

- لحظة واحدة حتى أهيئ نفسي لاحتمال هذا المنظر.

وما كادت نظراتها تقع على وجه زوجها، حتى صاحت بصوت يمزق القلب:

- أوه.. زوجي.. زوجي!

ثم أغمي عليها.

وأسرع الطبيب وبعض رجال الشرطة وحملوها إلى الخارج.

وقال لي بوارو في أسف:

- إنني لم أر في حياتي حزناً وحباً أقوى من هذا.. يا لغبائي الشديد..

- ٦ -

وقال مدير الشرطة بعد أن حملت المسز رينولد إلى غرفتها:

- مسكينة هذه السيدة، لا شك أن الصدمة كانت أقوى من أن تحتملها، حسناً.. إننا لن نستطيع أن نفعل شيئاً، والآن.. هلم يا مسيو بوارو إلى مسرح الجريمة.

- إنني تحت أمرك يا سيد بكس.

واجتزنا داخل الفيلا إلى الباب الأمامي.

وقال بكس:

- من العجيب ألا يسمع الخدم صوت الرجال الثلاثة وهم يهبطون السلم الذي يصر صريراً يوقظ الموتى.

- لا تنس أن ذلك كان بعد منتصف الليل، ولا شك أنهم كانوا مستغرقين في النوم.

- ولكن لماذا حاول المجرمان أن يدخلا من باب البيت وقد كان في مقدورهما أن يدخلا من إحدى النوافذ؟

ثم أشار بوارو إلى نافذة غرفة نوم مسز رينولد وقال:

- هذه هي نافذة غرفة النوم، وها هي ذي شجرة يمكن تسلقها إلى النافذة.

- محتمل جداً.. ولكن كان لا بد أن يتركا وراءهما آثار أقدام في حوض الزهور المحيط بالشجرة.

ورأيت حوضين للزهور الحمراء، كانا على جانبي مدخل الفيلا، وكانت الشجرة المؤدية إلى نافذة غرفة النوم تقع في الحوض الأيسر، ولم يكن هناك مفر من ترك آثار الأقدام في الحوض إذا أراد أحد الوصول إلى الشجرة.

واستطرد المسيو بكس قائلاً:

- إن أرضية المدخل جافة لا تنطبع فيها آثار الأقدام. أما حوض الزهور فإنه رطب، وكان من المحتم أن تنطبع فيه آثار الأقدام لو تسلق أحد هذه الشجرة.

وانحنى بوارو على الحوض يفحصه بإمعان ثم قال:

- إن هذا الحوض الذي تقع فيه الشجرة أملس، لا أثر فيه لأقدام؟

ثم قال وهو يفحص حوض الزهور الآخر:

- ولكن هذا الحوض فيه آثار أقدام واضحة.

فقال المسيو بكس:

- من المؤكد أنها آثار حذاء البستاني الغليظ، وهذا على كل حال لا يهم ما دام هذا الحوض خال من أية شجرة يمكن تسلقها.

- إذن فأنت ترى أنه لا أهمية لهذه الآثار!

- لا.. ليست لها أية أهمية في نظري؟

فقال بوارو في حماس:

- إني اختلف معك. إني أعتقد أن لهذه الآثار أهمية كبرى.

وهز بكس كتفيه وقال:

- هل نمضي الآن إلى مسرح الجريمة؟

- نعم.. نعم. ولسوف أبحث أمر هذه الآثار فيما بعد.

وبدلاً من أن يمضي بنا المسيو بكس في طريق مستقيم ممتد من الفيلا، انثنى إلى طريق أيمن تحف به الشجيرات المتكاثفة حتى وصلنا إلى فضاء من الأرض يشرف على البحر.

وكان ثمة مقعد حجري يقوم بقرب كشك صغير لأدوات الزراعة،

وعلى مسافة يسيرة كان ثمة خط من الشجيرات المتكاثفة تحدد الأراضي، التابعة للفيلا.

وبعد أن اجتزنا هذا الخط من الشجيرات وجدنا أنفسنا في ساحة واسعة جعلت بوارو يقول في دهشة:

- عجباً.. إن هذا ملعب للجولف!

فأومأ بكس برأسه وقال:

- نعم.. إنه ملعب جديد لم يكتمل بعد، وكان المفروض أن يكتمل في خلال الشهر القادم، وقد كان بعض العاملين فيه هم الذين اكتشفوا وجود الجثة في هذا الصباح.

وندت عني شهقة حين لمحت على يساري حفرة طويلة عميقة كأنها القبر المفتوح وعلى حافتها رجل ملقى على وجهه.

وكدت أثب في الهواء، فزعاً وقد خطر ببالي أن جريمة أخرى قد وقعت في نفس المكان، ولكن مدير الشرطة هدأ من روعي حين تقدم غاضباً وهو يقول:

- ما هذا؟ ألم أصدر تعليمات حاسمة بألا يقترب أحد من هذه البقعة.

واستدار الرجل الملقى على وجهه بجوار الحفرة، ثم نهض ينفض عن نفسه الغبار وهو يقول باسماً:

- إن لدي المستندات الرسمية التي تتيح لي هذا الحق.

وهتف مدير الشرطة قائلاً:

- آه.. المفتش جيرود، لم أكن أعرف أنك وصلت، إن السيد المحقق في انتظارك بفارغ الصبر

وفيما هو يتحدث كنت أفحص بنظراتي هذا الوافد الجديد الذي طالما سمعت عنه وعن براعته في كشف الغموض عن الجرائم.

وكان هو نفسه المسيو جيرود مفتش المباحث بإدارة الأمن العام بباريس، وكان في نحو الخامسة والثلاثين من عمره، كستنائي الشعر

والشارب، ثاقب النظرات، طويل القامة، تنم عليه سمات الخيلاء والاعجاب والشعور بالأهمية الذاتية.

وقدمنا المسيو بكس إليه قائلاً:

- إن المسيو بوارو أحد الزملاء في ميدان المباحث الجنائية.

وبدا الاهتمام على وجه جيرود وهو يقول:

- إني أسمع عنك يا مسيو بوارو، لقد شهدت شهرتك على الأساليب القديمة في البحث الجنائي، أما الآن.. فإن هذه الأساليب قد تطورت.

وقال بوارو ببساطة:

- ولكن الجريمة هي الجريمة في كل مكان وزمان.

وبدا لي بوضوح أن جيرود سوف يتخذ منا موقفاً عدائياً، ولعله كان يكره أن يتدخل أحد في شؤونه، ومن ثم أيقنت أنه لن يخبر بوارو بأية أدلة تقع بين يديه.

وعاد المسيو بكس يقول:

- إن السيد هوتيت..

وقاطعه المفتش جيرود قائلاً:

- لينتظر السيد المحقق.. إني الآن في أشد الحاجة إلى الضوء الباقي من النهار.. وهو لن يستمر أكثر من ساعة، ومن الممكن أن نسأل المقيمين في الفيلا غداً.. ولكن ليس من الممكن تأجيل البحث عن الأدلة التي قد تضيع لو انتظرنا إلى الغد، أرى أن رجالك من الشرطة قد ملأوا هذا المكان بآثار أقدامهم، وكنت أظن أنهم يعرفوا ماذا ينبغي أن يفعلوا في موقف كهذا.

فقال المسيو بكس بامتعاض:

- إن هذه آثار أقدام العمال الذي عثروا على الجثة هنا؟

فقال جيرود في ضيق:

- إني أستطيع رؤية آثار أقدام المجرمين والمجني عليه عندما

خرجوا من دغل الشجيرات الذي يحدد أراضي الفيلا، ولكن المجرمين كانا ماكرين فإنهما تركا آثار قدمي المسيو رينولد واصبعه، بينما آثار أقدامهما على الجانبين.

وابتسم بوارو وفتح فمه ليتحدث، ولكنه هز كتفيه، بينما تناول جيرود جاروفاً كان ملقى بجوار الحفرة وقال:

- الواضح أن هذه هي الأداة التي استعملت في الحفر، إن المجرمين على جانب كبير من المكر، إنهما لم يتركا شيئاً للقدر.. لقد قتلا رينولد بخنجر من بيته، وحفرا قبره بجاروف يملكه أو يملكه بستانيه، ولكنني سأعرف كيف أنتصر عليهما، لا بد أنهما تركا شيئاً وراءهما، مهما صغر حجمه.

وكان بوارو في تلك اللحظة مشغولاً بفحص قطعة على شكل ماسورة الرصاص كانت بجوار الجاروف.

وقال لجيرود بلهجة لا تخلو من سخرية:

- هذه أيضاً من ممتلكات المجني عليه؟

وهز جيرود كتفيه وقال:

- هذا لا يهم.. ومن يدري، لعلها كانت ملقاة هنا منذ أشهر، إنها غير ذات أهمية.

وقال بوارو:

- إني على العكس أرى أن لها أهمية بالغة.

وخيل إليّ أن بوارو أراد فقط أن يثير حنق جيرود.

وقد نجح في هذا لأن الشاب استدار بظهره قائلاً:

- إن وقتي أثمن من النظر في هذه التفاهات؟

ثم عاد وانبطح على وجهه واستأنف فحص الأرض بدقة وحذر، كأنه كلب صيد يشمم آثار الفريسة.

وفي خلال هذا بدا بوارو كأنما خطرت بباله فكرة طارئة، فاجتاز الحاجز الشجري إلى حدود أراضي الفيلا، وحاول فتح الكشك

الخاص بأدوات الزراعة.

وهنا سمع جيرود يقول له:

- إنه مغلق بالمفتاح، وهو مجرد كشك يحتفظ فيه البستاني بأدواته وبعض النفايات من الملابس، وقد تأكدت أن الجاروف لم يأت من هنا، وإنما من الكوخ الواقع وراء الفيلا.

وهتف مدير الشرطة المسيو بكس قائلاً لي:

- عجباً! إن المفتش جيرود لم يقض هنا غير نصف ساعة، ومع ذلك يبدو كأنه يعرف كل شيء، إنه رجل بارع حقاً.. بل لعله أبرع رجال المباحث في العالم!

ورغم إحساسي بالنفور من جيرود، إلا إنني لم أملك نفسي من الشعور بالإعجاب به.

والواقع أن الذكاء والمقدرة كانا يشعان من عينيه الثاقبتين.

وكان بوارو - لأسفي - لم يظهر حتى ذلك الحين بمظهر الرجل القدير، بل كان يشغل نفسه بأشياء تافهة لا علاقة لها بالجريمة، وقد فوجئت به يقول للمسيو بكس:

- هل كان المسيو رينولد من هواة لعبة الجولف؟

فأجبت أنا قائلاً:

- المعروف عن ذلك المليونير أنه من أكبر هواة هذه اللعبة.

وقال المسيو بكس:

- إن شغفه بهذه اللعبة كان السبب في إقامة هذا الملعب الذي ساهم في نفقاته بمبالغ كبيرة.. بل وساهم في تصميمه أيضاً.

وقال بوارو بلهجة تنم عن الأسف:

- إن اختيار هذا المكان لدفن الجثة لم يكن موفقاً، لأن الخطوط البيضاء المرسومة حول الحفرة تدل على أن العمل كان سيجري هنا لحفر بعض الأجزاء الضرورية للملعب، وهذا كان سيؤدي بدوره إلى كشف الجثة.

وهتف جيرود قائلاً:

- تماماً.. وهذا يثبت أن المجرمين غرباء عن هذه المنطقة، وأعتقد أن هذا من الأدلة الساطعة.

وقال بوارو في حذر:

- نعم.. إن أي شخص يعرف ما سوف يجري في إنشاء هذا الملعب، لا يفكر في إخفاء جثة بأرضه.

ثم صمت برهة قبل أن يردف قائلاً:

- إلا إذا كان يريد عامداً أن تظهر الجثة بعد مدة وجيزة.

ولم يجب جيرود.

واستطرد بوارو يقول كأنما يتحدث إلى نفسه:

- نعم.. إن الأمر يدعو إلى العجب، ومزيد من التفكير.

- ٧ -

وفيما نحن في الطريق إلى الفيلا، استأذن بكس للإسراع وإعلان وصول المفتش جيرود للمحقق هوتيت.

وتركنا جيرود مشغولاً بفحص كل شبر في المكان، وقد قال بوارو لي بعد أن أصبحنا بمفردنا:

- هذا هو رجل المباحث الذي يثير إعجابك يا هاستنج. إنه كلب الصيد الأصهب كما تقولون في انجلترا؟

فقلت له وقد نفد صبري:

- إنه على الأقل يعمل شيئاً، وإذا كان هناك ما يمكن أن يوجد فسوف يجده حتماً.

- حسناً.. لقد وجدت أنا أيضاً شيئاً، ماسورة من الرصاص.

- أنا أعتقد يا بوارو أن هذه الماسورة لا علاقة لها إطلاقاً بالجريمة.

- سوف نرى، والآن.. ما رأيك في الساعة التي تقدم ساعتين؟ إنني غير مقتنع بهذا، وغير مقتنع بأشياء أخرى، كموضوع الجريمة بسبب الانتقام، فلو كان الانتقام هو السبب، فلماذا لم يقتلوه في غرفة نومه؟

- لقد أراد القاتلان الحصول على «السر».

فهز بوارو كتفيه وقال:

ـ وأين هو هذا السر؟ في ملعب الجولف؟ أهذا معقول؟ ثم هل كانا يعلمان أنهما سيجدان خنجراً لارتكاب الجريمة جاهزاً للاستعمال؟

ثم أردف بعد برهة صمت:

ـ ولماذا لم يسمع الخدم صوت هبوطهم فوق السلم، هل كانوا مخدرين؟ وهل كان هناك شريك للمجرمين داخل الفيلا فتح لهم الباب؟

ولما وصلنا إلى مدخل الفيلا، رأينا البستاني العجوز يقوم بتقليم بعض الأشجار؟

وسأله بوارو عن آثار الأقدام في حوض الزهور الأيمن، واعترف البستاني أنها آثار حذائه!

وهنا قلت لبوارو:

ـ أعتقد أنك استرحت من هذه الناحية يا بوارو!

فهز بوارو رأسه وقال:

ـ لا . . أنني ما زلت أرى أن لهذه الآثار دلالة كبرى في الجريمة وأعتقد أن جيرود سوف يغفل عن دلالتها.

وهنا فتح الباب الخارجي وأقبل منه المحقق المسيو هوتيت ومدير الشرطة المسيو بكس الذي قال:

ـ آه . . لقد جئت في الوقت المناسب يا مسيو بوارو، إننا ذاهبان الآن إلى مدام دوبريل لسؤالها، ولا شك أنها ستجزع جداً عندما تسمع نبأ مقتل المسيو رينولد . . ولعلنا نعرف منها ذلك «السر» فإن الإنسان أحياناً يفضي لحبيبه بأسرار لا يفضي بها لزوجته.

وفيما نحن في الطريق إلى فيلا مدام دوبريل، قال لي المسيو بكس:

ـ لقد تأكدنا من صدق شهادة الخادم فرانسواز بشأن «الثراء المفاجيء» الذي ظهر على مدام دوبريل أودعت في رصيدها بالبنك

مائتي ألف فرنك في الشهرين الأخيرين . .

فقلت مدهوشاً:

ـ يا للسماء؟ إن هذا المبلغ يساوي أربعة الآف جنيه استرليني؟

ـ تماماً. وهذا يدل على مدى حب المجني عليه المسيو رينولد لهذه المرأة الحسناء، ونرجو أن يكون قد أفضى إليها «بالسر».

وتوقفنا أمام الفيلا التي رأيت على بابها ـ عند أول حضورنا ـ تلك الفتاة التي وصفتها بأنها آلهة جمال.

وكان اسم الفيلا «فيلا مرجريت».

وقال لي المحقق وهو يضغط على جرس الباب الخارجي:

ـ إن مدام دوبريل تقيم هنا منذ سنوات طوال، وحياتها هادئة، ويبدو أنها بلا أصدقاء، أو صديقات، أو قريبات، ولم يحدث قط أن تحدثت عن ماضيها أو حياتها الزوجية السابقة، بل لا يعرف أحد ما إذا كان زوجها السابق ميتاً أم على قيد الحياة، لا شك أن في ماضيها شيئاً غامضاً.

ـ وابنتها؟!

ـ آه . . هذه الفتاة الرائعة الجمال! إنها هادئة وادعة . . ولكن، لا شك أن الرجل الذي يتقدم للزواج منها، لا بد أن يسأل عن ماضي أمها . .

فسأل بوارو:

ـ ولكن ما ذنبها هي؟

فأجابه المستر هوتيت:

ـ هل تقبل أنت مثلاً أن تتزوجها قبل أن تعرف كل شيء عن والديها؟

وفي تلك اللحظة رأينا الفتاة الجميلة، آلهة الجمال، تقبل لتفتح لنا الباب.

وما إن وقع نظرها علينا حتى انحسرت الدماء عن وجهها، وبدا

الخوف الشديد في جبينها.

ولكن هونيت ـ المحقق ـ رفع قبعته محيياً وقال:

ـ يؤسفنا أن نزعجكم يا مدموازيل دوبريل، ولكنها ضروريات العدالة تحتم علينا أن نرى والدتك لمدة لحظات قليلة.

وظلت الفتاة متسمرة في مكانها برهة طويلة.

وأخيراً تمالكت نفسها وتمتمت قائلة:

ـ تفضلوا بالدخول حتى أعلم والدتي بقدومكم.

وبعد لحظة أقبلت السيدة الغامضة مدام دوبريل، وكانت سيدة في نحو الأربعين من العمر، طويلة كابنتها، وتكاد تصل إلى مستوى جمالها مع مزيد من الأنوثة والنضوج.

وقالت بصوت كالموسيقى:

ـ هل تريدون مقابلتي أيها السادة؟

وغص المحقق بريقه..

ثم قال:

ـ نعم يا سيدتي. إننا نحقق في مقتل المسيو رينولد.. لا شك انك سمعت بالحادث!

وأومأت برأسها في حزن دون أن تجيب!

وعاد المحقق يقول:

ـ لقد جئنا لنسألك هل لديك معلومات لايمكن أن تلقي بعض الضوء على غموض الحادث؟

وتمتمت المرأة بدهشة خفيفة:

ـ أنا؟!

فقال المستر هونيت:

ـ إن لدينا معلومات تقول أنك اعتدت زيارة المجني عليه في أمسيات كثيرة بفيلته، فهل هذا صحيح؟

وشحب وجه المرأة..

ولكنها قالت بصلة:

ـ ليس من حقك أن توجه الى أسئلة تهمه؟

ـ ولكنني يا سيدتي أحقق في الحادث!

ـ وما شأني بالحادث؟

ـ إننا نعرف أن علاقتك بالمجني عليه كانت قوية. فهل أخبرك بشيء ما.. بسر معين؟

ـ لا..

ـ هل تحدث إليك بشيء عن حياته في سنتياجو، أو عن أي أعداء له هناك؟

ـ لا؟

ـ إذن فأنت لن تستطيعي أن تساعدينا بشيء!

ـ ولماذا أنا؟ ألم تخبركم زوجته بكل شيء.

ـ نعم، أخبرتنا بكل ما تعرف.

وهزت المرأة كتفيها الجميلين!

ولم يسعنا إلا أن ننصرف..

وفي أثناء الطريق سأل المستر هونت:

ـ الا يوجد فندق قريب أبيت فيه ليلتي..

فقال المسيو بكس:

ـ على مسافة نصف ميل من هذا الطريق يوجد فندق دي بان، وهو مناسب وقريب من موضع التحقيق، لسوف نراك غداً صباحاً طبعاً؟

ـ نعم، طابت ليلتكم!

وافترقنا، ومضيت مع بوارو في الطريق الى ميرلينفيل، وقبل أن نبتعد كثيراً عن فيللا مرجريت، إذا نحن نرى الصبية الحسناء جداً، مارتا دوبريل تسرع نحونا لاهثة.

ثم تقول باضطراب لبوارو:

ـ أرجو ألا تخبر أمي بأني تحدثت إليكما.. هل حقاً كان المسيو

رينولد قد أرسل إليك يا سيدي لتأتي وتعمل على حراسته؟
- نعم يا فتاتي، هذا ما حدث حقاً، ولكن كيف عرفت؟
- لقد أخبرت فرانسواز خادمتنا أميلا بهذا!

فقال بوارو مدهوشاً:
- عجباً؟ وكيف عرفت فرانسواز، حسناً.. ماذا تريدين أن تقولي لنا يا فتاتي؟
فترددت الصبية برهة.
ثم تمتمت قائلة كالهمس:
- هل تشتبهون في أحد؟

فحملق بوارو في وجهها قليلاً ثم قال:
- إن الإتهام يدور حول الجميع الآن!
- ولكن هل هناك شخص معين؟
وازداد الخوف في عيني الصبية، حتى تذكرت قول بوارو وهو يصفها بقوله: «ذات العيون الخائفة»!

وأردفت هي قائلة:
- لقد كان المسيو رينولد شفوقاً بي دائماً، ويهمني أن أعرف من هي قاتله؟
- إن الاتهام مركز في الوقت الحاضر حول شخصين.
- شخصان؟!
وكانت الدهشة واضحة في نبرات صوتها!

- وقال بوارو:
- نعم.. شخصان مجهولان من سنتياجو بجمهورية شيلي، آه.. هذا هو تأثير الجمال على النفس، فلولا جمالك لما أفضيت لك بهذه المعلومات.

فأرسلت الفتاة ضحكة سعيدة.
ثم تمتمت وهي مستديرة لتعود إلى بيتها:
- شكراً. شكراً جزيلاً يجب أن أعود قبل أن تكتشف أمي غيابي.
وبعد انصرافها، تنهدت في عمق وقلت:
- يا للسماء ما أجملها!
- دعها وشأنها يا هاستنج. هذه الفتاة ليست مناسبة لك.
نهضت قائلاً:
- لماذا؟ ماذا يعيبني؟
- لا يعيبك شيء، ولكنني أحب ألا تنخدع بالوجوه الجميلة!
- إنها ليست جميلة فقط، ولكنها ملاك أيضاً!

فابتسم بوارو وقال:
- إن بعض المجرمين لهم وجوه بريئة كالملائكة!

وعدت أهتف قائلاً:
- هل أفهم من هذا أنك تشتبه بهذه الصبية البريئة الصغيرة؟
- لا تسرف في الاهتياج يا صديقي، إني لم أقل أني مشتبه بها، ولكن هل لاحظت أن مظاهر الجزع عليها أكثر مما ينبغي؟
- لعلها تشعر بالفزع من أجل أمها.

فهز بوارو كتفيه وقال:
- إن أمها امرأة تعرف كيف تحمي نفسها دون حاجة لأن تجزع ابنتها من أجلها.

ثم صمت برهة وأردف قائلاً:
- إن وجه أوم ليس غريباً علي.. يخيل إليّ أني رأيتها من قبل، ولكن أين.. ومتى؟
ومرة أخرى راح يفكر بعمق..

ثم يقول:

- يخيل إليّ أني رأيتها أو رأيت صورة لها منذ سنوات طوال، عندما كنت أعمل بإدارة المباحث البلجيكية، نعم.. إني واثق بأني رأيت صورة هذه المرأة أثناء التحقيق في قضية خطيرة..

- في جريمة؟

- أعتقد ذلك!

- ٨ -

وعدنا إلى الفيلا في صباح اليوم التالي..

وكانت الخادم ليزبيه تهبط من الطابق الأعلى وقد بدا عليها أنها راغبة في الثرثرة.

وقد بدا عليها أنها راغبة في الثرثرة.

وسألها بوارو عن صحة المسز رينولد.

فهزت الفتاة رأسها وقالت:

- إنها في حالة يرثى لها، مسكينة هذه السيدة، إن حزنها ليمزق القلب، ولو كنت مكانها لما حزنت كل هذا الحزن من أجل رجل له علاقات بنساء أخريات.

فأومأ بوارو برأسه وقال:

- نعم.. نعم. ولكن الحب أحياناً يغفر كل شيء، ولكن.. لا شك أن كثيراً من المشاجرات حدثت بين الزوجين في الأسابيع الأخيرة.

- أبداً يا سيدي.. إنني لم أسمع سيدتي تلفظ بكلمة عتاب واحدة أو تفقد أعصابها، إنها وديعة كالملاك، بعكس سيدي.

- ألم يكن المسيو رينولد وديعاً كالملاك؟

- على العكس يا سيدي، كان يبدو كالثور الهائج.. يوم تشاجر مع سيدي الشاب جاك.. ابنه.

- ومتى حدثت هذه المشاجرة؟

- كانت قبل سفر سيدي جاك إلى باريس مباشرة، بل لقد كان

مسرعاً وحمل حقيبة السفر الموضوعة في الصالة، وقد رأيت وجهه شاحباً من فرط الغضب، وقد اضطر إلى ركوب سيارة مأجورة، لأن سيارة والده كانت تحت الاصلاح.

وبدا بوارو مستمتعاً بحديثها، إذ سألها قائلاً:

ـ وماذا كان سبب المشاجرة؟

ـ آه.. هذا ما لم أعرفه يا سيدي، كانت أصواتهما مرتفعة ونبراتهما سريعة فلم أفهم شيئاً، وقد ظل سيدي رينولد مكفهر الوجه طوال اليوم.

وأردفت ليونيه قائلة حين سمعت وقع أقدام فرانسواز:

ـ آه.. لا بد أن أسرع إلى عملي قبل أن أتعرض للسان هذه العجوز.

وقال بوارو بسرعة:

ـ لحظة واحدة يا آنسة.. أين المحقق الآن؟

ـ إنه مع السيد مدير الشرطة في الكراج يفحصان السيارة ليعرفا ما إذا كانت استعملت ليلة الحادث أم لا.

ولما انصرفت قلت لبوارو:

ـ هل ستذهب إليهما؟

ـ لا.. سأنتظر عودتهما في غرفة الصالون، إن هواءها منعش!

وعندئذ قلت متردداً:

ـ هل تسمح لي أن..

ـ آه.. أتريد أن تقوم ببعض الأبحاث والتحريات بنفسك، حسناً.. حسناً، اذهب يا صديقي واستمتع بوقتك كما تشاء!

ـ إني أريد أن ألقي نظرة على المفتش جيرود، وأرى ماذا يفعل الآن!

ـ آه.. أتعني كلب الصيد الآدمي.. اذهب يا صديقي وافعل ما تشاء!

وغادرت الفيلا وفي نيتي الذهاب إلى مسرح الجريمة.

وبدلاً من أن أتخذ الطريق العادي، اختصرت المسافة واخترقت حاجز الشجيرات الفاصل بين حدود الفيلا وملعب الجولف.

ولكنني ما كدت أخرج من الدغل حتى رأيت شابة واقفة وظهرها إلى دغل الشجيرات.

ولما سمعت وقع قدمي التفتت.

وهنا هتفنا معاً في دهشة وعجب:

ـ أنت؟!

ذلك أنها كانت صديقة القطار.. سندريللا؟

وتمالكت الفتاة نفسها ثم قالت:

ـ ماذا تفعل هنا!

ـ وأنت؟ ماذا تفعلين؟

ـ عندما رأيتك أول أمس، كنت في طريقك إلى انجلترا، فماذا جاء بك؟

ـ وأنت حين رأيتك أول أمس كنت تبحثين عن اختك، وبهذه المناسبة، كيف حالها؟

ـ شكراً على سؤالك، إنها بخير.

ـ ألا تخبريني على الأقل لماذا أنت هنا؟

ـ ألم تسمع أبداً بأن بعض الناس يأتون إلى هنا للراحة والاستجمام، والآن كفى أسئلة، إنك لم تخبرني لماذا جئت أنت إلى هنا؟

ـ هل تذكرين حديثي عن زميلي في المسكن، ضابط المباحث السابق بوارو؟

ـ نعم..

ـ ولعلك سمعت عن الجريمة التي وقعت هنا، في فيلا جنيفييف.

وحملقت في وجهي بفزع وقد لهثت أنفاسها وهي تقول:

- أتعني أن.. أنك مشترك في التحري والتحقيق؟
- ولما أومأت برأسي ابتسمت وقالت:
- إذن لماذا أنت واقف هكذا، لماذا لا تصحبني في جولة لأرى بنفسي فظائع هذه الجريمة، إنها فرصة لا تعوض.
- ماذا تعنين؟
- ألم أذكر لك أنني من هواة القصص البوليسية؟ فهل هناك متعة أكبر من أن أرى إحدى الجرائم على الطبيعة؟
- ولكن .. إنهم لا يسمحون لأحد أن.. أن يرى شيئاً؟
- أليست أنت وصاحبك من الكبار هنا؟
وكرهت أن أخيب أملها، فقلت:
- نعم، نعم.. ولكن ماذا تريدين أن تشاهدي مثلاً؟
فأجابت:
- كل شيء.. مكان وقوع الحادث.. والسلاح.. والجثة، وبصمات الأصابع وما إلى هذا كله، إن هذه الفرصة لم تتح لي من قبل، إنها فرصة العمر.
ثم وضعت ذراعها في ذراعي..
وقالت وهي تبتسم في وجهي:
- هلم يا عزيزي الطيب القلب.
ولم يسعني إلا أن أنزل عند رغبتها.
فمضيت بها أولاً إلى المكان الذي وقعت فيه الجريمة.
وقد حيانا هناك الحارس الواقف بالمكان بعد أن رآني في اليوم السابق مع هيئة التحقيق.
وبعد أن ذكرت لها تفاصيل ما حدث، مضيت معها إلى الفيلا، وحرصت على أن أذهب إلى الجانب الخلفي منها حتى لا يرانا أحد.
ولما وصلنا إلى الكوخ الذي وضعت فيه الجثة، تذكرت أن المسيو بكس عهد بمفتاحه إلى الشرطي مارشود المكلف بحراسة

فدخل الفيلا، وتركت سندريللا عند الكوخ، وذهبت إلى مارشود الذي قال لي حين رآني:
- إذا أردت مقابلة المحقق، فإنه في غرفة المكتب يعيد سؤال فرانسواز.
فقلت له ببساطة:
- لا.. ولكنني أريد مفتاح الكوخ الخلفي لأمر هام إذا لم يكن لديك مانع.
فقدمه إليّ فوراً وهو يقول:
- بكل تأكيد يا سيدي، لقد أمرني المسيو هوتيت بتقديم كل التسهيلات الممكنة لك وللمسيو بوارو، أرجو فقط أن تعيد المفتاح إليّ بعد أن تفرغ من مهمتك.
وشكرت مارشود وأنا أشعر بأهميتي، ولما رأت سندريللا المفتاح معي، هتفت قائلة:
- هل حصلت عليه؟!
- طبعاً.. ولكن يجب أن تعلمي أن ما نفعله مخالف للتعليمات تماماً.
- إنني لن أنسى لك هذا الصنيع، هلم قبل أن يرانا أحد.
- لقد رأيت كل شيء تقريباً، فهل من الضروري أن تري الجثة أيضاً؟ إنه منظر لا يسر أحداً.
فضحكت قائلة:
- لا تخف إن لي أعصاباً من حديد.
ودخلنا الكوخ..
وقلت لها وأنا أرفع الغطاء عن وجه القتيل:
- أترين.. إنه طعن من الخلف؟
وتمتمت والفزع ملء صوتها:
- بماذا؟

- فأشرت إلى الخنجر الصغير الموضوع في الاناء الزجاجي وقلت:

- بهذا.

وفجأة هوت الفتاة مغشياً عليها وهي تتمتم:

- ماء.. ماء.. بسرعة!

وتركتها مسرعاً ودخلت الفيلا!

ومن حسن الحظ لم التق بأحد.

فحملت زجاجة براندي وعدت بها مسرعاً ووضعت بضع قطرات منها في فم الفتاة، ففتحت عينيها وتمتمت:

- أخرجني من هنا بسرعة.

واستندت بذراعها على ذراعي، ومضيت بها إلى الهواء الطلق بعد أن أغلقت الباب وراءنا!

وتنفست بعمق وقالت:

- إنني الآن أحسن حالاً.

وقلت لها وقد تأكدت أن أعصابها ليست حديدية كما زعمت:

- لقد حاولت أن أمنعك من هذا؟

- نعم، نعم.. شكراً لك، طاب يومك؟

- ولكن كيف تتصرفين وأنت على هذه الحالة؟

- إنني بخير، ويجب أن أسرع الآن بالعودة إلى المدينة، لقد تأخرت كثيراً.

ولما بدأت تتصرف قلت لها:

- مهلاً، إنك لم تذكري لي عنوانك؟

- إنني أنزل في فندق دي فير، أرجو أن تأتي لزيارتي غداً.

- سأفعل!

وكنا قد ابتعدنا عن الفيلا إلى الطريق العام.

وبعد أن شيعتها بنظراتي، عدت مسرعاً وقد تذكرت أنني تركت المفتاح في باب الكوخ.

ولما رأيته في مكانه، تنهدت بارتياح، فتناولته وأسرعت بإعادته إلى الشرطي مارشود دون أن يلمحني أحد.

- ٩ -

ودخلت الصالون بهدوء، وكان المحقق المسيو هوتيت يستجوب البستاني الذي اعترف بأن القفازين اللذين وجدا في الكوخ هما ملك له، وأنه يستعملهما أحياناً في مسك بعض النباتات الشوكية، وأنه لا يحتفظ بهما عادة في مكان معين، أما الحاروف فكان يوضع عادة في الكوخ أيضاً، والكوخ يغلق بالمفتاح، ولكن المفتاح يبقى في الباب، لأنه لا يوجد شيء في داخله يخشى عليه من السرقة.

وبعد انصراف البستاني، هز المستر هوتيت رأسه وقال:

- إننا لم نعرف منه إلا القليل، ويبدو أن علينا أن ننتظر حتى يصل إلينا الرد من ستياجو.

وهنا أقبل جيرود وقال:

- لا داعي لهذا يا مسيو هوتيت، وها أنا ذا تحت امرك.

وكانت لهجة جيرود وهو يتحدث مع المستر هوتيت تدل على أن العلاقة بين الاثنين ليست كما ينبغي.

ولا عجب أن رد عليه المستر هوتيت قائلاً في سخرية واضحة:

- آه! لعلك عرفت الجاني يا مسيو جيرود، بل لعلك تعرف أين هو الآن؟

- إني أعرف على الأقل من أين جاء، أعني هو وصاحبه!

ثم أخرج من جيبه شيئين صغيرين وضعهما على المائدة.

ونظرنا جميعاً إلى هذين الشيئين فإذا هما عود ثقاب غير مستعمل وعقب سيجارة!

وقال جيرود بلهجة المنتصر لبوارو:

- ماذا يمكن أن تفهم من هذين الشيئين يا مسيو بوارو؟

فبسط بوارو كفيه وقال:

- لا أفهم منهما شيئاً؟

- إنك تقول هذا لأنك لم تفحصهما بالعقلية الحديثة، إن عود الثقاب ليس من النوع العادي - هنا على الأقل، ولكنه معروف كثيراً في أمريكا الجنوبية، ومن حسن الحظ أنه لم يستعمل، وإلا لما تعرفت عليه، والواضح أن أحد الرجلين أسقط من علبة الثقاب عوداً وهو يتناول عوداً آخر ليشعل سيجارته؟

- وماذا عن العود الآخر؟

- أي عود تعني؟

- الذي أشعله القاتل؟ ألم تعثر عليه مستعملاً؟

- لا . .

- لعلك لم تكن دقيقاً في البحث بما فيه الكفاية؟

- لم أكن دقيقاً!

ثم نظر إلى بوارو ولمع نظرات التهكم في عينيه.

وعندئذ قال:

- أرى أنك تسخر مني يا مسيو بوارو، ولكن . . ما رأيك في عقب السيجارة الذي يدل بوضوح على أنها سيجارة من النوع المعروف في أمريكا الجنوبية؟

وقال مدير الشرطة:

- لعل عود الثقاب وعقب السيجارة كانا من ممتلكات المسيو رينولد، لا تنس أنه جاء من أمريكا الجنوبية منذ عامين فقط . . ومعنى هذا أنه ربما كان يحتفظ ببعض السجائر وعلب الثقاب التي جاء بها

من هناك.

وقال بوارو:

- الا ترى من العجيب ان ياتي قاتلان دون أن يتزودا بالقفاز أو بأداة للقتل أو بجاروف.. ثم يجدان هذا كله جاهزاً.

- هذا يعني أنه كان لهما شريك داخل الفيللا، أو خارجها.

- وهذا الشريك هو الذي فتح لهما الباب؟

- ربما.. وربما كان معهما مفتاح، أو مع هذا الشريك مفتاح.. ولعل المسيو جاك فقد مفتاحه الخاص، أو لعل البستاني كان يحتفظ بمفتاح للفيللا منذ عهد أصحابها القدامى.. ومن يدري، لعل مدام دوبريل تحتفظ بمفتاح خاص لها.

وقال المستر هوتيت في دهشة:

- هل سمعت عن هذه العلاقة أيضاً؟

- اني أسمع كل شيء بطريقتي الخاصة.

وهنا قال المستر هوتيت بلهجة انتصار:

- أراهن أنك لم تسمع بهذا.

ثم قدم له قطعة الشيك المكتوب عليها اسم «دوفين» والرسالة الموقعة باسم «بيللا».

وقال جيرود بعد أن فحصهما:

- إن هذا لا يغير من نظريتي شيئاً.

- وما هي نظريتك يا مسيو جيرود؟

- أفضل أن أحتفظ بها لنفسي الآن، لأني ما زلت في بداية التحريات.

وقال له بوارو:

- أخبرنا بشيء واحد يا مسيو جيرود.. إن نظريتك تفسر طريقة فتح الباب، ولكن هل لديك تفسير للسبب الذي من أجله ترك الباب مفتوحاً حتى الصباح؟ ألم يكن من الأفضل للقاتلين أن يغلقا الباب

بعد انصرافهما مع المجني عليه.

- رأيي أنهما نسيا إغلاقه..

وفوجئت ببوارو يقول:

- إني لا أتفق معك في هذا يا مسيو جيرود، لقد ترك الباب مفتوحاً عن عمد أو للضرورة، وأي تفسير غير هذا لا جدوى منه.

وعبث المفتش جيرود بشاربه وقال لبوارو في استخفاف:

- إنك لا تتفق معي؟ حسناً.. ما هو رأيك إذن في الجريمة؟

- إني أسألك يا مسيو جيرود.. ألا تذكرك هذه الجريمة بشيء! أعني بجريمة أخرى.. مماثلة؟

- جريمة أخرى.. مماثلة! أين.. ومتى؟

- إني لا أذكر الآن.. ولكني سأذكره بعد قليل، ولكنك تعرف تماماً أن لكل مجرم وسيلته أو أساليبه الخاصة في ارتكاب جرائمه، سواء كانت جرائم سرقة أو اختلاس أو احتيال أو قتل.. وهو يكرر هذه الوسائل والأساليب طالما أنه لم يقع في قبضة العدالة، لأنه يعتبر أساليبه هذه هي الأفضل والأضمن نجاحاً.

وقال جيرود في تهكم:

- وما هو الهدف من هذه المحاضرة؟

- الهدف هو أنه إذا وقعت جريمتان بأسلوب واحد، فمن المؤكد أن وراءهما تفكير أو تخطيط عقل واحد.. وبالاضافة إلى هذا أحب أن ألفت نظرك إلى الساعة التي تقدمت ساعتين ووجدت مكسورة الزجاجة في غرفة النوم.

فقال جيرود بنفس اللهجة الهازئة:

- إن الساعات أحياناً تقدم وأحياناً تؤخر.

- ولكن من النادر جداً أن تقدم ساعة مقدار ساعتين في مدة وجيزة!

وهز جيرود كتفيه.

وفي تلك اللحظة أقبل الشرطي مارشود وقال للمحقق:

- لقد وصل الآن من انجلترا المسيو ستونر.. السكرتير الخاص للمسيو رينولد!

- ١٠ -

كان الرجل الذي دخل الغرفة ملفتاً للنظر بطول قامته، وأناقته، وجسمه الرياضي، ووجهه الملوح، وشخصيته الآسرة التي تركت أثرها في نفوسنا جميعاً، وكان الواضح أن جابرييل ستونر من هؤلاء الانجليز الذين طافوا حول العالم، وخاضوا الكثير من معارك الحياة.

وقال بعد أن حيانا جميعاً:

- إنه لحادث مروع حقاً.. كيف حال المسز رينولد الآن؟ لا شك أن الصدمة كانت شديدة عليها.

وقال المستر هوتيت بعد أن قدم إليه جميع الموجودين:

- نعم.. نعم.. كانت الصدمة شديدة حقاً.

ونظر ستونر إلى بوارو، وقال له بعد أن عرف سبب حضوره:

- إذن لقد أرسل اليك المستر رينولد طالباً الحماية من خطر واهم؟

- ألم تكن تعرف هذا؟

- لا.. ولكن هذا التصرف لا يدهشني.

- لماذا؟

- لأنه كان مضطرباً شديد القلق في الأيام الأخيرة، ولكنه لم يفض اليّ بما كان يزعجه، إلا أنه كان واضح القلق والاضطراب.

وسأله المستر هوتيت.

- منذ متى وأنت تعمل سكرتيراً له يا مسيو جابرييل ستونر؟

- منذ عامين. أي بعد وصوله من أمريكا الجنوبية مباشرة، وقد توسط لي أحد الأصدقاء للعمل معه.. لقد كان مخدوماً ممتازاً طيب القلب.

- هل كان يحدثك عن حياته في أمريكا الجنوبية.

- كثيراً..

- هل قال لك أنه زار مدينة سنتياجو؟

- نعم.. لقد تردد عليها كثيراً.

- ألم يخبرك بشيء فعله هناك أدى إلى حقد بعض الأشخاص عليه.

- لا.. مطلقاً؟

- هل أخبرك عن «سر» حصل عليه هناك؟

- لا أذكر أنه قال لي شيئاً من هذا، ولكني أذكر أنه لم يحدثني اطلاقاً عن طفولته أو شبابه.. أو عن أي شيء من حياته قبل سفره إلى أميركا الجنوبية، وأعتقد أنه كندي المولد من أصل فرنسي، ولكنه لم يحدثني اطلاقاً عن حياته قبل سفره إلى أميركا الجنوبية.

- هل سمعت يوماً باسم «دوفين»؟

- أعتقد أني سمعت هذا الاسم، ولكنه يبدو مألوفاً لدي.

- هل تعرف أنه كان للمسيو رينولد صديقة اسمها بيللا دوفين؟

- آه.. إني سمعت بهذا الاسم، ولكن لا أذكر متى أو أين؟

- أرجوك يا مسيو ستونر. إن الأمر أخطر جداً من أن تحتفظ في نفسك بشيء يمكن أن يضيء الطريق إلى القاتل.

- ماذا تعني يا سيدي؟

- أعني إنك ربما تخشى أن تزيد آلام مدام رينولد إذا أخبرتنا مثلاً بأنه كانت هناك علاقة خاصة بين زوجها وبين المدعوة بيللا دوفين؟

فقال جابريل ستونر بحماس:

- أؤكد لك يا سيدي أن المستر رينولد كان يعبد زوجته ولا يفكر

في خيانتها اطلاقاً.

- إن لدينا الدليل الحاسم على أنه كان على علاقة غرامية بامرأة تدعى بيللا.. رسالة غرام وجدت في جيب معطفه، كما أنه كان يستقبل في مكتبه ليلاً مدام دوبريل في مساء ليلة الحادث.

- وأنا أؤكد لك يا سيدي أن هذا كله بعيد عن الحقيقة كل البعد، لا بد أن هناك أسباباً أخرى غير الحب، هي التي ربطته ببعض النساء.

- إذن ما هي هذه الأسباب؟

- ما الذي جعلكم تظنون أن هناك علاقة غرامية بينه وبين مدام دوبريل؟

- كانت تزوره في أمسيات كثيرة، وقد زاد رصيدها المالي في البنك أربعة آلاف جنيه انجليزي في أسبوعين فقط.

- أعتقد أن هذا صحيح، لقد كنت أحول لها هذه المبالغ بناء على أوامره؟ ولكن الأسباب لم تكن غرامية.

- إذن ماذا كانت؟

- كانت نوعاً من الابتزاز؟

- ماذا تقول؟

- أقول إن مدام دوبريل كانت تعرف عنه شيئاً وتستغل هذه المعرفة أسوأ استغلال.. ولو عاش سنة واحدة لظفرت منه بمليون جنيه.

- هذا محتمل..

فقال ستونر بلهجة تأكيد:

- بل هذا هو المؤكد، في رأيي على الأقل.

- حسناً: هناك نقطة أخرى، هل تعرف شيئاً عن الوصية التي تركها المسيو رينولد؟

- نعم، لقد حملت وصيته بنفسي إلى المحامين ليحتفظوا بها في سجلاتهم، وهي تقسم ثروته نصفين، نصف لزوجته، والنصف

الآخر لابنه جاك.

- متى كتب هذه الوصية؟

- منذ عام ونصف عام تقريباً.

- هل يدهشك أن تعلم أنه استبدل بها وصية أخرى منذ اسبوعين، وقد أوصى بكل ثروته في الوصية الجديدة إلى زوجته.

- إنه لا علم لي بهذا، ولكنه ظلم للابن، حقاً ان أمه تحبه جداً.. ولكن هذا التصرف يجعله يظن أن أباه لم يكن يثق به، وأياً كان الأمر فهذا يؤيد قولي عن حب المستر رينولد الشديد لزوجته.

وقال المستر هوتيت:

- نعم، نعم.. وقد أرسلنا برقية إلى سنتياجو، واعتقد ان الرد سيوضح أشياء كثيرة.

وهنا قال بوارو للمستر ستونر:

- منذ متى كان يعمل سائق السيارة مع المسيو رينولد.

- منذ عام تقريباً.

- هل كان معه في أميركا الجنوبية؟

- لا.. مطلقاً، لقد كان يعمل قبل حضور المستر رينولد من أميركا الجنوبية، مع أسرة أعرفها في جلوسستر شاير.

- هل تشهد بأنه بعيد عن الشبهات؟

- نعم.. بكل تأكيد.

وفي تلك اللحظة فوجئنا بالمسز رينولد تقبل شاحبة الوجه.

وأسرع ستونر وقدم إليها مقعداً وساعدها على الجلوس وهو يتمتم بعبارات المواساة.

وقال لها المستر هوتيت:

- كنت سأصعد اليك يا سيدتي لأسألك عن مرحلة طفولة وشباب المسيو رينولد.

فهزت رأسها وقالت:

- لم يكن يتحدث عن هذه المرحلة اطلاقاً، ويبدو أنها كانت مؤلمة بالنسبة له.

- هل كانت في حياته بعض الأسرار؟

- لا أظن.

- أرجو الا تغضبي يا سيدتي من سؤالي، هل تعرفين أنه كانت بين زوجك ومدام دوبريل علاقة حب؟

- وأخفت مدام رينولد وجهها بين يديها وشهقت بالبكاء.

ثم قالت:

- نعم، كانت بينهما علاقة حب!

ولم أر في حياتي نظرة دهشة وعجب كالتي رأيتها تطل من عيني ستونر وهو يرمق مدام رينولد!

- ١١ -

وقبل أن يلقي أحد مزيداً من الأسئلة، فتح الباب فجأة في عنف، وتقدم نحونا شاب طويل القامة.

وخيل إليّ برهة أن القتيل بعث حياً، لولا أن أدركت فوراً أن الوافد الجديد ليس أشيب الشعر، وإنما هو شاب في مقتبل العمر، موفور القوة، أسرع إلى المسز رينولد دون أن يحفل بالآخرين، وانحنى عليها في اشفاق قائلاً:

- أماه!

وهتفت الأم وهي تأخذه بين ذراعيها:

- جاك، يا ابني الحبيب، ولكن ما الذي جاء بك، المفروض أنك الآن على الباخرة انزورا التي ابحرت من شيربورج منذ يومين.

وشعرت فجأة بالموجودين معها في الغرفة فقالت لهم:

- ابني جاك!

وقال المستر هوتيت وهو يرد على تحية جاك:

- إذن فلم تبحر على الباخرة انزورا!

- لا يا سيدي، كنت سأشرح هذا الأمر الآن، لقد تأخرت الباخرة عن الابحار أربعاً وعشرين ساعة بسبب خلل في المحركات، ولما أوشكت على الابحار، حدث أن طالعت في إحدى صحف المساء المأساة التي وقعت هنا.

وتهدج صوت الشاب وطفرت الدموع إلى عينيه وهو يتمتم:

- يا لأبي المسكين، يا لأبي المسكين!

ونظرت المسز رينولد إليه كأنها في حلم وقالت:

- إذن فأنت لم تبحر.

ثم أردفت قائلة بصوت خافت كأنما تحدث نفسها:

- لم يعد لسفرك أهمية على كل حال!

وقال المستر هوتيت:

- اجلس من فضلك يا مسيو جاك، إني أقدر مشاعرك وأواسيك، ولعل تأخرك عن السفر في صالح القضية، لأننا في حاجة شديدة إلى أن نعرف منك بعض الحقائق.

- إني تحت أمرك يا سيدي، سل ما تشاء.

- أعتقد أولاً أن هذه الرحلة التي تخلفت عنها كانت بناء على رغبة والدك؟

- نعم يا سيدي.. لقد تلقيت برقية من أبي يطلب مني فيها الابحار إلى بيونس إيرس، ومنها - عبر جبال الأنديز - إلى فالباريزو.. ثم سنتياجو.

- وما كان الهدف من هذه الرحلة؟

- لم أكن أعرف يا سيدي.

- عجباً!

- هذه هي البرقية، اقرأها بنفسك يا سيدي!

وكانت البرقية كما يلي:

«امضي الى بيونس إيرس على الباخرة انزوار، ومنها إلى سنتياجو حيث تصلك تعليمات أخرى. الأمر مهم جداً.

رينولد»

وقال جاك:

- إن لأبي مصالح كثيرة في سنتياجو. ولكني لم أكن أعرف على

وجه التحديد ماذا كان يريد مني أن أفعل هناك.
ـ لا شك أنك أمضيت جانباً كبيراً من حياتك في أميركا الجنوبية؟
ـ كنت هناك منذ طفولتي، ولكني أتممت تعليمي في انجلترا، وفيها أيضاً أمضيت معظم عطلاتي المدرسية، ولهذا فإني أعرف عن انجلترا أكثر مما أعرف عن أميركا الجنوبية.
ـ هل خدمت أثناء الحرب في القوات الجوية؟
ـ نعم..
واستمر المحقق في أسئلته..
وأجاب جاك قائلاً إنه لا يعرف أنه كان لأبيه أعداء يهددون حياته، وأنه لاحظ فعلاً أن أباه كان مضطرباً قلقاً في الأيام الأخيرة، وأنه لم يسمع عن ذلك «السر» الذي أشار إليه المحقق.
وبعد ذلك قال المفتش جيرود:
ـ هل كنت على علاقة طيبة بوالدك.
فقال الشاب في امتعاض:
ـ طبعاً!
ـ ولكن الجميع شهدوا بأن مشاجرة حامية وقعت بينك وبين والدك قبيل سفرك إلى باريس.
ـ نعم.. حدثت مشاجرة بيني وبينه.
ـ ألم تقل لوالدك أثناء المشادة «لسوف أفعل ما أشاء بعد موتك».
ـ ربما قلت هذا، إني لا أتذكر..
ـ وقد رد والدك على هذا بقوله: «ولكني لم أمت بعد»، فقلت له:
«إني أتمنى لو أنك ميت»!
ولم يجب الشاب.
وقال جيرود:
ـ إني أطالبك بالإجابة.

فرد جاك بحدة:
ـ وما قيمة هذا! نعم.. لقد قلت هذا كله أثناء المشاجرة، لقد كنت في حالة غضب شديد، والإنسان في حالة الغضب يمكن أن يقول أي شيء.. بل يمكن أن يرتكب جناية قتل..
وسأله المستر هوتيت:
ـ وماذا كان سبب المشاجرة يا مسيو جاك؟
ـ إني أرفض الإجابة.
ـ إن الموقف خطير يا مسيو جاك، ورفضك الإجابة لن يكون في صالحك..
ولما أصر جاك على الصمت، قال بوارو:
ـ يمكنني أن أخبرك بالسبب يا سيدي؟
ـ أتعرفه!
ـ نعم.. إن المشاجرة كانت بسبب الآنسة مارتا دوبريل.
وهنا وثب جاك واقفاً..
وقال المستر هوتيت:
ـ أهذه هي الحقيقة يا مسيو جاك؟
فأحنى الشاب رأسه وقال:
ـ نعم.. لقد أحببت الآنسة مارتا دوبريل وأردت الزواج بها، ولكن أبي ثار في وجهي بعنف، ولم استطع أن احتمل الاهانات التي وجهها أبي إليها وهكذا فقدت زمام أعصابي.
وسأل هوتيت مدام رينولد:
ـ هل كنت تعرفين هذا كله يا سيدتي؟
ـ نعم، وكنت اخشى عواقب هذا الحب.
وصاح الشاب:
ـ وأنت أيضاً يا أماه، إن مارتا طيبة القلب بقدر ما هي جميلة، ماذا يمكن أن تأخذيه عليها؟

- إني لا آخذ عليها شيئاً، ولكني كنت أفضل لو أنك تزوجت فتاة انجليزية أو فرنسية، ولكني لا أرضى لك أن تتزوج فتاة مجهولة الأصل.

وكان الواضح من لهجة الأم أنها تفضل الموت على أن ترى ابنها زوجاً لابنة غريمتها.

وعادت تقول موجهة الحديث للمحقق:

- كان يجب أن أخبر زوجي بعلاقة جاك بهذه الفتاة في أول الأمر، ولكني ظننت أنها علاقة عابرة لن تنتهي بالزواج، وكان زوجي في الوقت نفسه في حالة قلق شديد، فأردت ألا أثقل عليه بهذا الأمر.

وقال هوتيت لجاك:

- هل غضب والدك بمجرد أن ذكرت له أنك تريد الزواج من الآنسة مارتا دوبريل.

- نعم.. اشتعل غضبه فجأة وأمرني بقطع علاقتي بها فوراً، ولما طلبت منه أن يذكر لي سبباً واحداً، لم يستطع، ولكنه قال فقط ان الشائعات تدور حول أمها، وعندئذ قلت له إني سأتزوجها هي ولا شأن لي بأمها، ولكنه أصر على موقفه، وشعرت أن هذا الموقف ينطوي على ظلم واستبداد، فأفلت مني زمام أعصابي، واعتقد أني قلت أثناء المشاجرة أني سأفعل ما أريد بعد موته.

وهنا قال بوارو:

- كأنك كنت تعرف شروط وصيته؟

- نعم، كنت أعرف أنه ترك لي نصف ثروته، والنصف الآخر لأمي على أن أرثه بعدها.

- حسناً، أستمر في قصتك!

- وفي أثناء صياحنا، تذكرت أني قد أتأخر عن موعد القطار فأسرعت إلى المحطة، وبعد أن هدأت أعصابي كتبت رسالة إلى مارتا أخبرها بكل ما حدث، وكان ردها بلسماً لآلامي، لأنها قالت لي

إن علينا أن نواجه أية عاصفة بقوة الحب، وإن والدي حين يتأكدان من صدق حبنا، سيوافقان في النهاية على الزواج، وبهذه المناسبة، أقول اني لم أخبرها بالسبب الذي من أجله كان أبي يعترض على زواجي بها.

وقال المستر هوتيت:

- لننتقل إلى نقطة أخرى.. هل تعرف أحداً باسم دوفين؟

- فهز جاك رأسه وقال:

- دوفين.. دوفين؟ لا.. لا أعرف احداً بهذا الاسم.

- إذن اقرأ هذه الرسالة واخبرني، هل كانت موجهة إلى والدك، وممن؟

وقرأ جاك الرسالة..

ثم قال في دهشة:

- موجهة إلى أبي؟

- نعم، وجدناها في جيب معطفه.

وأرسل جاك نظرة سريعة إلى أمه.

بينما استطرد المستر هوتيت قائلاً:

- هل تعرف من يكون المرسل؟

- لا، إطلاقاً..

- عجباً؟ إذن لنتحول إلى موضوع السلاح، اعتقد يا مسيو جاك ان السلاح الذي ارتكبت به الجريمة كان هدية منك لوالدتك.

فاربد وجهه وهو يقول:

- أتعني ذلك الخنجر الصغير المصنوع من معدن الطائرات! إن هذا مستحيل؟ كيف ترتكب جريمة بسلاح صغير كهذا؟

- هذه هي الحقيقة يا مسيو جاك، إن السلاح صغير حقاً، ولكنه حاد جداً.

- أين هو، هل يمكن أن أراه؟ ألا يزال في الجثة؟

- لا .. لقد رفعناه عنها، وإذا أردت رؤيته فلا بأس، يمكن للمسيو بكس أن يأمر بإحضاره.

ونهض المسيو بكس ليحضر الخنجر، ولكنه لم يلبث أن عاد مسرعاً وهو يقول في اضطراب:

- يا سيدي المحقق، لقد اختفى الخنجر.

- اختفى، ليس له وجود، إن الاناء الزجاجي خال تماماً منه.

وهنا قلت أنا:

- هذا مستحيل، مستحيل.

والتفت الجميع نحوي!

وفجأة أدركت حرج موقفي فقلت بهدوء:

- أقول إن الأمر مستحيل لأني رأيته هذا الصباح، منذ ساعة ونصف ساعة تقريباً!

وقال المستر هوتيت في تساؤل ودهشة:

- هل دخلت الكوخ هذا الصباح لماذا؟ وكيف؟

- لقد أخذت المفتاح من الشرطي الحارس.

- ولكن .. لماذا؟

- يبدو أني ارتكبت غلطة كبيرة أرجو أن تغفرها لي يا سيدي!

- أخبرنا بما حدث.

- الواقع أني التقيت بفتاة صديقة لي. وقد أرادت بدافع الفضول، أن ترى الجثة، فحققت لها رجاءها.

- ولكن هذا مخالف للتعليمات والأوامر يا مسيو هاستنج كيف سمحت لنفسك بارتكاب شيء كهذا.

- إني شديد الأسف يا سيدي!

- هل أنت الذي دعوت هذه الانسة للحضور؟

- لا .. مطلقاً، لقد التقيت بها مصادفة، وهي فتاة إنجليزية وتقيم مؤقتاً بمدينة ميرلينفيل.

- حسناً، حسناً .. لا شك أنها فتاة شابة جميلة، ولهذا لم تستطع أن ترفض طلبها.

وتنهد هوتيت بعمق!

وقال المسيو بكس:

- ولكنك لم تغلق الباب بالمفتاح بعد انصرافك معها؟

- هذه هي الغلطة الكبرى، لقد تركت المفتاح بالباب حتى وصلت بها إلى الطريق العام، ثم عدت وتذكرت الأمر فأغلقت الباب، وأعدت المفتاح إلى الشرطي.

- أي أن المفتاح بقي في الباب نحو ثلث ساعة!

- تماماً..

- هذا أمر خطير!

- بدون شك يا سيدي.

وهنا فوجئنا جميعاً بالمفتش جيرود يقول باسماً:

- بل أمر مدهش رائع!

وقال له هوتيت في عجب شديد:

- لماذا؟

- لأن هذا يدل على أن القاتل أو أحد شركائه، قريب من هذا المكان، أعني أنه كان هنا منذ ساعة تقريباً، وهذا يجعل من السهل علينا أن نصل إليه في أقرب وقت، ولا شك أنه غامر بأخذ الخنجر لأنه يخشى أن يكون عليه بصمات أصابع.

والتفت بوارو إلى بكس وقال:

- ألم تقل إنه لم يكن عليه بصمات أصابع من أي نوع؟

وهز جيرود كتفيه وقال:

- ربما لم يكن القاتل واثقاً!

فقال بوارو:

- إني لا أتفق معك في هذا يا مسيو جيرود، لقد كان القاتل مرتدياً

قفازاً، ولهذا لا بد أن يكون واثقاً من نفسه.

ـ أنا لم أقل القاتل نفسه، ولكن ربما كان شريكه الذي لم يكن واثقاً من هذا الأمر.

وقاطعهما هويت قائلاً:

ـ لقد انتهينا من عمل اليوم ولا بد لنا من العودة إلى منازلنا للغداء والراحة.

وفيما أنا أخرج مع بوارو إلى الصالة قال لي:

ـ لسوف تخبرني بكل شيء عندما نصل إلى الفندق.

وفجأة توقف وأخرج من جيبه شريط مقياس وأسرع إلى معطف معلق على مشجب بجوار الباب وراح يقيسه من الياقة إلى الطرف الأسفل، ولم أكن أنا قد رأيت هذا المعطف ملقى في ذاك المكان من قبل، ولعله كان معطف المستر ستونر أو المستر جالك.

وأعاد بوارو شريط المقياس إلى جيبه وهو يتمتم لنفسه، ثم وضع ذراعه في ذراعي وانصرفنا إلى الفندق.

- ١٢ -

وسألت بوارو ونحن في طريقنا إلى الفندق:

ـ لماذا قست طول ذلك المعطف؟

ـ لأعرف طوله طبعاً؟

وشعرت بالاستياء لأن بوارو أراد ـ بهذه الإجابة ـ أن يخفي عني بعض الدلالات التي توصل إليها.

وسرت بجانبه وأنا أحاول ـ عن طريق الاستنتاج ـ أن أصل بنفسي إلى بعض هذه الدلالات.

وكان أول شيء أثار تفكيري هو قول المسز رينولد لابنها «إذاً فأنت لم تبحر، إن هذا لا يهم على كل حال».

ماذا كانت تعني من وراء هذه العبارة؟ فلا شك أن لهذه الكلمات معانيها ودلالاتها الخفية، هل يمكن أن يكون لديها معلومات أكثر مما نظن؟

وقطع بوارو تفكيري بقوله:

ـ أراك مستغرقاً في التفكير يا عزيزي هاستنج؟ فيم تفكر؟

ـ ولما أخبرته بمسار تفكيري قال:

ـ إنك على حق ولا شك، ومن رأيي أنها تخفي في نفسها أشياء كثيرة، وقد توجهت شبهاتي إليها منذ اللحظة الأولى.

ـ أتشتبه فيها يا بوارو؟

- لماذا لا؟ إنها هي المستفيدة الوحيدة من موت زوجها، فإن ثروته الضخمة ستؤول إليها وحدها، وهذا ما جعلني أفحص يديها لأرى هل كانت القيود عليها حقيقية أم مصطنعة، وقد ثبت لي أنها حقيقية، وهذا يعني أنها لم ترتكب الجريمة بمفردها، وعدا هذا كله، فإن الأقوال التي أدلت بها ليست غريبة علي.. أعني حكاية الرجلين المقنعين اللذين لم تتعرف عليهما، وحكاية «السر» الذي أرادا أن يصلا إليه؛ ويبدو لي أني قرأت أو سمعت شيئاً عن هذا من قبل! وهناك شيء آخر أكد لي أنها لم تذكر الحقيقة.. وهذا الشيء هو الساعة يا هاستنج.. الساعة التي تحطم زجاجها.

فقلت في دهشة:

- ماذا عن الساعة أيضاً؟

- سوف أشرح لك رأيي، ما هو الوقت الذي وقعت فيه الجريمة في رأيك؟

- في حوالي الساعة الثانية بعد منتصف الليل، ألا تذكر ما قالته المسز رينولد في هذا الشأن، قالت إنها سمعت ساعة الحائط تدق الثانية عندما اقتحم المجرمان غرفة نومها.

- حسناً جداً.. لقد اقتنع الجميع بهذه الأقوال، أما أنا فأعتقد أن المسز رينولد كاذبة، لقد وقعت الجريمة قبل ساعتين، أي في حوالي الثانية عشرة!

- ولكن الطبيب الشرعي..

- لقد أعلن الأطباء أن الوفاة وقعت قبل سبع أو عشر ساعات من العثور على الجثة، أي إنها وقعت فيما بين الثانية عشرة والثالثة صباحاً، لأنهم عثروا على الجثة في حوالي العاشرة صباحاً، وقد حددوا وقوع الجريمة بعد الثانية بقليل بناء على أقوال المسز رينولد.

ولعلك سمعت أو قرأت عن تحديد وقت وقوع بعض الجرائم بالساعات المحطمة التي توقفت عند وقوع الجريمة.

وهذا ما حاول المجرم أن يفعله، لقد حطم ساعة يد المسز رينولد بعد أن قدمها ساعتين لتقف على الثانية بعد منتصف الليل، أي لكي يوهم المحقق أن الجريمة وقعت فعلاً بعد الثانية بقليل.

ولكن القدر كان أقوى منه، إذ تحطم زجاج الساعة فقط، وظلت الساعة تدور متقدمة ساعتين!

وهذا ما جعلها تعلن السابعة مساء حين عثرنا عليها بينما كان الوقت لا يتجاوز الخامسة.

وقد أثار هذا في ذهني شيئين: الأول أن مدام رينولد كاذبة، والثاني أن هناك سبباً قوياً جداً جعل مرتكب الجريمة يقدم الوقت ساعتين.

- وما هذا السبب!

- إني لا أعرفه على وجه التحديد الآن، ولكن هناك احتمالاً بأنه أراد أن يلحق بقطار الساعة الثانية عشرة والربع الذي يقوم من محطة ميرلينفيل. فإذا أوهم الجميع بأن الجريمة وقعت بعد الثانية بقليل، بينما ارتكبها هو في الثانية عشرة ولحق بقطار الثانية عشرة والربع، ليثبت وجوده في مكان بعيد عن مسرح الجريمة عند وقوعها - إذا هو فعل هذا كله - أمكنه أن يفلت من العقاب في ظنه طبعاً!

فهتفت قائلاً:

- هذا هو التعليل الصحيح يا بوارو.. أحسنت!

- إننا لن نطمئن إلا بعد أن نتحرى في محطة السكة الحديدية، ولا شك أن عمال المحطة لن ينسوا منظر اثنين من الغرباء غادراها في ساعة متأخرة منذ يومين!

- نعم.. هلم إلى المحطة بسرعة.

- ولكننا إذا ذهبنا فلن نسأل عن اثنين غريبين لهما لحيتان طويلتان!

عجباً!

- اتصدق هذه الأقوال عن مجرمين مقنعين يتخفيان بوضع لحى مستعارة؟

- إني لا افهم ماذا تعني يا بوارو؟

- ألم تسمعني وأنا أقول لجيرود إني سمعت أو قرأت عن جريمة ارتكبها اثنان لهما لحيتان، وما إلى هذا! إن هذا يعني - في رأيي - أن العقلية التي ارتكبت الجريمة الأولى، هي التي ارتكبت الجريمة الثانية أو إن المجرم في جريمتنا هذه سبق أن قرأ تفاصيل الجريمة الاولى، واراد أن يطبقها في جريمته هذه، لأن المجرمين في الأولى افلتوا من العقاب.

فقلت له غير مقتنع:

- لكن المستر رينولد ذكر لك في خطابه إليك شيئاً عن «السر».

- لا شك أن له اسراراً كثيرة في حياته التي عاشها في سنتياجو، وانا أعتقد أن كلمة «سنتياجو» هذه ليست إلا تضليلاً للعدالة، إن المجرمين تعمدوا إظهار هذه الكلمة ليوهمونا بأن الخطر آت من سنتياجو أو له علاقة بهذه المدينة، بينما الخطر في رأيي كان أقرب كثيراً من هذا، كان في فرنسا نفسها.

- إذن ما رأيك في عود الثقاب وعقب السيجارة اللذين عثر عليهما جيرود وثبت أنهما من إنتاج أميركا الجنوبية؟

فابتسم بوارو وقال:

- لقد وضعا عمداً في طريقنا امعاناً في تضليلنا، وهذا ما جعلني اسخر من فرحة جيرود عند عثوره عليهما.

- إذن فكل تلك الأقوال عن الرجلين المقنعين!

- كاذبة!

- إذن ما هي الحقيقة؟

- المسز رينولد فقط هي التي تعرف حقيقة ما حدث، ولكنها لن تعترف بأي ثمن او تحت تهديد، إنها امرأة قوية الارادة، وقد اتجهت شكوكي نحوها في أول الأمر.. ثم غيرت رأيي.

- ولماذا غيرت رأيك؟

- عندما رأيت حزنها العميق وتأثرها الشديد عندما وقعت نظراتها على وجه زوجها الميت، وأنا أقسم أن صيحة الألم التي ندت عنها لم تكن مصطنعة ابداً.

- وأنا اعتقد هذا أيضاً.

- إذن ما دام حزنها على زوجها قد بلغ هذه الذروة، فلا يمكن أن تكون هي القاتلة. ولكن.. لماذا كذبت؟ لماذا كذبت في حديثها عن الرجلين المقنعين المزعومين، ولماذا قدمت ساعة يدها مقدار ساعتين؛ ثم بماذا تعلل فتح الباب الخارجي للفيللا يا هاستنج!

- أعتقد أن مرتكب الجريمة نسيه مفتوحاً؟

- هذا هو رأي جيرود.. ولكني لست مقتنعاً بهذا الرأي. إن المجرم أو المجرمين لم يغادروا الفيللا عن طريق الباب. وإنما عن طريق النافذة!

- ماذا؟! إننا لم نعثر على أية آثار للأقدام فى حوض الزهور الواقع تحت نافذة غرفة نوم المسز رينولد.

فابتسم بوارو وقال:

- كان ينبغي أن تبقى هناك آثار للأقدام.. ألا تذكر يا هاستنج أن البستاني اوجست قال إنه كان يعنى بالحوضين في ظهر اليوم الذي وقعت الجريمة في مسائه! وقد رأينا آثار اقدامه في الحوض الأيسر؛ اي الحوض الذي يقع على الباب الآخر من المدخل.. وبينما لم نر اية آثار للأقدام في الحوض الأيمن الذي يقع تحت غرفة النوم.. فما معنى هذا؟ معناه أن المجرمين حرصوا على إزالة آثار الأقدام وتسوية سطح حوض الزهور بعد هبوطهم من النافذة.

- ولكن لماذا استعملوا النافذة في الخروج بدلاً من الباب؟

- أعتقد يا بوارو أنك مخطىء في هذا الرأي.

- لا أعرف الآن. ولكن هذا رأيي.

- آه.. سنرى!

- ١٣ -

وبعد أن تناولنا طعام الغداء في صمت.

قال بوارو بلهجة ماكرة:

- إنك لم تخبرني بأمر الفتاة التي استدرجتك لتسمح لها بمشاهدة الجثة.

وقصصت عليه أمرها تفصيلاً..

والتمعت عيناه وهو يقول:

- وما اسم هذه الفتاة الساحرة؟

- فاعترفت له بأني لم أعرف اسمها الحقيقي، وأن كل ما أعرفه أن اسمها سندريلا..

وعاد يقول:

- ألا تنوي أن تراها مرة أخرى؟

وفي تلك اللحظة وقعت عيناي على لافتة الفندق المواجهة لفندقنا وقد تألقت عليها حروف هذا الاسم «فندق دي فير»، وتذكرت قولها لي «أرجو أن تأتي لزيارتي».

وعندئذ قلت بلهجة تأكيد:

- لقد طلبت مني أن أزورها، ولكني لن أفعل طبعاً.

- لماذا؟

- لأني لا أريد..

- لقد قالت لك أنها تنزل في فندق انجلترا، اليس كذلك!

- لا.. بل في فندق دي فير.

- أحقاً؟ لقد نسيت!

وفجأةتذكرت أني لم أذكر له اسم الفندق الذي تنزل به، ولكنه عرف كيف يستدرجني للحصول على اسمه وفجأة نظر في ساعة جيبه وقال:

- إن القطار المتجه إلى باريس سيتحرك في الثانية والنصف بعد الظهر، ويجب أن أنصرف الآن لألحق به.

فقلت مدهوشاً:

- أتنوي الذهاب إلى باريس اليوم؟

- نعم..

- للبحث عن قاتل المستر رينولد؟

- نعم..

- أتعتقد أنه في باريس الآن؟

- أنا واثق أنه ليس هناك، ومع هذا فلا بد من البحث عنه في تلك المدينة إنك لا تفهم شيئاً الآن، ولكني سأشرح لك الأمر في فرصة قريبة، المهم أن رحلتي إلى باريس ضرورية جداً، ولن أغيب طويلاً، ومن المحتمل أن أعود غداً، ولا داعي لذهابك معي، أبق هنا وراقب جيرود جيداً.. واقترح أيضاً أن توطد علاقتك بالآنسة مارتا دوبريل، إلهة الجمال.

فقلت بسرعة:

- ذكرتني؟ كيف عرفت بوجود علاقة حب بين جاك رينولد وهذه الفتاة.

- مجرد استنتاج.. إذ لا يعقل أن يقيم شاب وفتاة في منطقة نائية كهذه دون أن يلقي الحب بشباكه حولهما.. ثم المشاجرة التي وقعت بين الابن وأبيه، إن السبب لا بد أن يكون المال، أو الحب، وقد

استنتجت أن السبب هو الحب، وصح استنتاجي.

وبعد برهة صمت أردف قائلاً:

- ثم لا تنسى عينيها المفعمتين بالخوف، إني سأذكرها وإنما بذات العينين الخائفتين..

- ماذا تعني؟

- سترى بعد وقت غير طويل، والآن يجب أن أمضي إلى المحطة؟

- سوف اصحبك إليها؟

- لا.. لا داعي لهذا، إني أريد أن أذهب بمفردي.

وبعد انصراف بوارو، تجولت قليلاً على الشاطىء وأنا أرجو أن أرى سندريللا بين السابحات، ولما لم أجدها، عدت أدراجي، وتقدمت من بواب فندق دي فير وجمعت شجاعتي وقلت له بعد أن دسست في يده خمسة فرنكات:

- أتعرف فتاة إنجليزية سوداء الشعر تنزل هنا. إني لست واثقاً من اسمها.

فهز البواب رأسه وقال:

- لا توجد هنا فتاة بهذه الصفات.

- ولكنها قالت لي إنها تنزل بهذا الفندق؟

- لا يا سيدي. وقد سبق أن سألني سيد آخر عنها.. منذ نصف ساعة.

- سيد أصلع الرأس غزير الشارب قصير القامة.

- تماماً يا سيدي.

وأدركت أن بوارو سأل عنها وهو في طريقه إلى المحطة، وشعرت بالامتعاض من تصرفه، وكأنه لا يريد أن يصدقني.

ولكن.. ماذا أرادت سندريللا بتضليلي؟ أكانت تريد أن تقطع صلتها بي، وتختفي من حياتي بهذه الطريقة المكشوفة.. أي

بالامتناع عن ذكر اسمها الحقيقي لي، أو ذكر الاسم الحقيقي للفندق الذي نزلت به.

وظلت هذه الأفكار تراودني وأنا أعود في طريقي إلى الفيللا. فلما وصلت إلى ملعب الجولف، والمكان الذي وقعت فيه الجريمة، جلست على المقعد الحجري القريب من كشك أدوات الحديقة ورحت أواصل التفكير في أمر هذه الفتاة الغامضة.. سندريللا.

وأفقت من تفكيري على صوت اثنين يتحدثان ورائي، وأدركت بعد لحظة أن الحديث آت من حديقة فيللا مرجريت حيث تقيم مدام دوبريل وابنتها، ولم يكن يفصلني عن هذه الحديقة إلا خط من الشجيرات المتكاثفة الأوراق والأغصان.

واقترب المتحدثان مني. وسمعت صوت الفتاة مارتا دوبريل وهي تقول بوضوح:

- أحقاً هذا؟ هل انتهت كل متاعبنا ومشاكلنا؟

وادركت أن الذي كان معها هو جاك رينولد.. إذ سمعته يرد عليها قائلاً:

- أنت تعلمين يا مارتا أنه لا توجد قوة يمكن أن تفرق بيننا، لقد زالت آخر عقبة في طريقنا.

- آوه.. جاك، جاك ولكني ما زلت خائفة.

ورأيت أن استراق السمع على هذين الحبيبين أمر لا يليق، فنهضت لأبتعد بعد أن اختلست نظرة سريعة إليهما من وراء خط الشجيرات وكانت الفتاة تبدو خائفة إلى حد كبير بينما كان جاك يهدئها قائلاً:

- من أي شيء خائفة يا مارتا؟

- إني لست خائفة من شيء، وإنما خائفة عليك.

ولم أسمع رد جاك عليها، لأني كنت قد أسرعت مبتعداً عن المكان. وفيما أنا أسرع، إذا بي ألمح جيرود منبطحاً على وجهه

ينصت بإمعان إلى حديث الحبيبين. ولما رآني، وضع أصبعه على فمه يأمرني بالصمت؟

- ولما نفذت رغبته، نهض من مكمنه، ثم ابتعد معي عن المكان حيث قلت له:

- ماذا تفعل هنا؟

- ما تفعله أنت، استرق السمع.

- ولكني لم أكن متعمداً.

- ولكني متعمد.

ثم أردف قائلاً وهو يرمقني باحتقار:

- إنك تفسد جهودي بتدخلك فيما لا يعنيك، ولولا ظهورك المفاجيء الآن لأمكنني أن أسمع المزيد، أين صاحبك الأثري؟

- ذهب إلى باريس.

- حسناً فعل، وكلما أطال المكث هناك كان هذا أفضل، ولكن ماذا عساه يريد من باريس؟

- هذا ما لا استطيع أن أصرح به.

فعاد ورمقني بنظرة ازدراء ثم قال وهو يستدير لينصرف:

- طاب يومك.

وعدت إلى الفندق، وأويت إلى فراشي مبكراً وأنا أرجو ان يأتي صباح اليوم التالي بجديد، وفي بكور الصباح، هبطت إلى قاعة الطعام وجلست اتناول افطاري؛ وفجأة رأيت النادل يهرع نحوي قائلاً:

- إنك يا سيدي من المهتمين بالجريمة التي وقعت في فيللا جنيفيف، أليس كذلك؟

- نعم؛ لماذا تسأل؟

- لقد وقعت جريمة ثانية أمس مساء.

- ماذا؟

- ثم تركت طعامي وألقيت بقبعتي على رأسي واندفعت مسرعاً في الطريق إلى الفيللا وأنا أردد لنفسي كالمجنون:

- جريمة ثانية؛ وبوارو بعيد عن مسرحها؟ ترى من المجني عليه هذه المرة؟

- ولما وصلت إلى مدخل الفيللا؛ وجدت بعض الخدم متجمعين يثرثرون في عصبية واهتياج.

وأمسكت بذراع فرانسواز وسألتها:

- ماذا حدث؟

- أوه سيدي؛ جريمة أخرى؛ إنه لأمر رهيب؛ لقد حلت اللعنة على الفيللا؛ نعم إنها لعنة سوداء؛ إني لن ابيت فيها ليلة أخرى؛ فمن يدريني أن الدور لن يقع علي؟

فهتفت بها قائلاً:

- ولكن من القتيل في هذه المرة؟

- إني لا أعرف؛ رجل غريب عن هذه الناحية؛ لقد وجدوا جثته هناك في الكشك الخاص بأدوات الزراعة على مسافة قريبة من المكان الذي وجدت فيه جثة سيدي المسيو رينولد؛ وقد وجدوا الجثة الثانية مطعونة بنفس الخنجر؟

- ١٤ -

وأسرعت إلى الكشك..

فلم يمنعني الحارسان الواقفان بجواره من الدخول، ووجدت جيرود منحنياً بفحص الأرضية، وقد تناثرت في جانب من الكشك بعض الأدوات الزراعية والملابس القديمة.

ولما لمحني جيرود، نظر إليّ في سخرية ثم قال موجهاً ضوء مشعله الكهربائي إلى ركن قصي من الكشك:

- هذا هو المجني عليه الثاني!

كانت الجثة على ظهرها..

وكانت لرجل متوسط القامة، ملوح البشرة، في نحو الخمسين من العمر، وكان مرتدياً بذلة زرقاء أنيقة غالية الثمن ولكنها لم تكن جديدة تماماً وكان على جانبه الأيسر، فوق القلب، مقبض الخنجر الذي غار نصله في الصدر.

وكان نفس الخنجر الذي رأيته في الاناء الزجاجي بالكوخ الواقع وراء الفيللا في صباح اليوم السابق.

وقال جيرود:

- إني منتظر وصول الطبيب في أية لحظة وإن كان الامر لا يحتاج إليه، فإن الوفاة واضحة وقد مات فوراً بطعنة خنجر في القلب.

- متى حدث هذا؟

- لا أدري على وجه التحديد، ولكن حالة الجثة تدل على أن الوفاة حدثت منذ اثنتي عشرة ساعة على الأقل، متى رأيت الخنجر آخر مرة؟

- حوالي العاشرة من صباح أمس؟

- أعتقد أن الجريمة وقعت بعد العاشرة بقليل من صباح الأمس.

- ولكن الناس كانوا يروحون ويجيئون طيلة اليوم أمام هذا الكشك.

فضحك جيرود وقال:

- إنك تتقدم مسرعاً في شؤون المباحث العامة؟ أتعتقد إذن أن الجريمة وقعت في هذا الكشك؟

- كنت.. كنت أظن هذا؟

- يا لك من رجل مباحث رائع؟ أتعتقد أن الرجل الذي يطعن بالخنجر في قلبه يقع على الأرض بهذا الشكل، مستقيماً على ظهره وقدماه متجاورتان، وذراعاه على جانبيه ممدودتان؟ هذا غير معقول، أليس كذلك! وحتى إذا كان راقداً على هذا النحو أثناء حياته، فإنه لا يسمح لأحد بأن يطعنه دون أن يحاول الدفاع عن نفسه.

ثم ألقى بالضوء على أرضية الكشك، وسرعان ما بدت آثار جر الجثة بوضوح.

ومن ثم قال:

- لقد جرت الجثة إلى هذا المكان.. وكان يجرها، كما يتضح من الآثار، اثنان. إن آثار أقدامهما لا تبدو خارج الكشك لأن الأرض صلبة، ولكنهما حرصا على امتزاج آثار أقدامهما داخل الكشك حتى لا يتعرف عليهما أحد، ولكن عملية إزالة الآثار على جانبي الجثة دلت على أن الجثة جرت داخل الكشك على أيدي اثنين، لا واحد.. وأكثر من هذا يمكنني أن أقول إن أحد الاثنين امرأة!

- امرأة..

- نعم..

- ولكن كيف عرفت وقد أزالا آثار اقدامهما.

- عرفت لهذا السبب.

ثم تناول شيئاً من مقبض الخنجر وقربه مني، وإذا بي أرى شعرة سوداء طويلة..

شعرة من رأس سيدة ولا شك..

وعاد يقول مشيراً إلى حفرات صغيرة في الأرضية:

- ولهذا السبب أيضاً، إنها حفرات صغيرة ناشئة من كعب حذاء حريمي، لقد أزال المجرمان الآثار، ولكنهما غفلا عن هذه الحفرات الصغيرة في الأرض المتربة.

وأعاد الشعرة إلى مكانها من مقبض الخنجر وأردف قائلاً:

- ألم تلاحظ شيئاً آخر..

ولم يسعني إلا أن أهز رأسي في خجل.

وعندئذ قال:

- انظر إلى يديه.

ونظرت، ووجدت أصابعه كبيرة خشنة وأظافره صلبة ومتآكلة، ومع هذا فلم أفهم شيئاً.

ونظرت إلى جيرود متسائلاً، فقال:

- إنها ليست أصابع سيد مترف، إنها أصابع رجل فقير، رجل يكسب قوته بأظافره، ومع ذلك فملابسه أنيقة وفاخرة، ألا يثير هذا عجبك.

- نعم، طبعاً.

- وليس في ملابسه ما يدل على صانعها أو المتجر الذي اشتريت منه، فما معنى هذا؟ معناه أن هذا الرجل أراد أن يبدو شخصاً آخر غير حقيقته، أراد أن يخفي شخصيته ليعيش في شخصية أخرى، فلماذا؟ هل أراد أن يهرب من شيء أو من حكم؟ هذا ما نريد أن

تعرفه.

ثم أردف قائلاً وهو ينظر إلى الخنجر:

- ولم نجد للمرة الثانية أية آثار لبصمات الأصابع على الخنجر، وهذا يعني أن القاتل كان يرتدي قفازاً.

- أتعتقد إذن أن القاتل واحد في الجريمتين؟

- إن ما أعتقده لا يهم الآن.. مارشود.

وأقبل الشرطي مارشود..

فقال له جيرود:

- لماذا لم تحضر مدام رينولد، لقد أرسلت في طلبها منذ ربع ساعة.

- إنها تقترب الآن.. وابنها معها.

- حسناً.. إني أريد أن يدخل كل منهما بمفرده.

ولما أقبلت المسز رينولد بعد لحظات..

أشار جيرود إلى الجثة وقال:

- هذا هو المجني عليه يا سيدتي.. أتعرفينه؟

ونظرت المسز رينولد إلى وجه القتيل بهدوء تام وقالت:

- لا.. لا أعرفه.. لم أره في حياتي البتة.

- ألا يمكن أن يكون أحد اللذين اقتحما غرفة نومك في ليلة الحادث.

- لا.. لا أظن، إني واثقة بأنه لم يكن أحدهما.

- حسناً يا سيدتي، هذا كل ما أردت أن أتأكد منه، شكراً.

وبعد خروجها من الكشك، أقبل جاك رينولد، وأكد أنه لم ير ذلك الرجل المجني عليه من قبل.

وقال جيرود للشرطي مارشود:

- أحضر الشاهدة التالية.

وكانت هذه الشاهدة هي مدام دوبريل.

وقد أقبلت تهتف في احتجاج:

- إني أرفض هذه المعاملة.. لما تستدعونني؟ ما شأني أنا بهذا كله!

- إنني يا سيدتي أتحرى عن جريمتين، ومن يدريني أنك لم ترتكبيهما؟

- فصاحت المرأة قائلة في غضب شديد:

- كيف تجرؤ وتوجه إلي مثل هذا الاتهام الرهيب، لسوف أشكوك إلى رؤسائك، إننا نعيش أحراراً في وطن حر.

فتناول جيرود الشعرة السوداء الطويلة من مقبض الخنجر وقال:

- وما رأيك في هذه؟ دعينا نرى مطابقتها على شعر رأسك!

فتراجعت في فزع وقد شحب وجهها وصاحت:

- هذا كذب، هذا افتراء.. إن أي شخص يزعم أنني ارتكبت هذه الجرائم كاذب ومدع.

ورد جيرود قائلاً:

- هدئي من روعك يا سيدتي.. إننا لم نوجه الاتهام اليك بعد، ولكن يمكنك أن تجيبي على بعض الأسئلة بدون هذا الاهتياج كله.

- إني تحت أمرك يا سيدي.

- انظري إلى هذا الرجل الميت.. هل سبق أن رأيته في هذه النواحي؟

فنظرت المرأة إلى وجه القتيل وقد ازداد وجهها شحوباً.

ثم قالت:

- إنني لم أره، ولا أعرفه.

- حسناً، يمكنك أن تنصرفي.

وبعد انصرافها، عاد جيرود يفحص جوانب الكشك والأرضية وهو يتحرك على يديه وركبتيه، فاحصاً كل شبر في المكان، وكل قطعة من أدوات الزراعة.

واهتم بصفة خاصة بمجموعة من الملابس القديمة كانت مكومة في ركن الكشك.

وكانت عبارة عن معطف بال وبنطلون قديم..

وبدا عليه الاهتمام أيضاً وهو يفحص زوجاً من القفازات القديمة، ولكنه لم يلبث أن ألقى بهما جانباً.

ثم مضى إلى مجموعة من الأواني فقلبها رأساً على عقب آملاً أن يجد فيها شيئاً.

وأخيراً نهض واقفاً حين رأى المسيو بكس يدخل مع الطبيب الشرعي والمحقق المسيو هوتيت وكاتب التحقيق.

وصاح المسيو هوتيت قائلاً:

- إن هذا شيء يفوق التصور يا مسيو جيرود. جريمة ثانية قبل أن نكشف الغموض عن الجريمة الأولى؟ ترى من هو الضحية في هذه المرة؟

- هذا ما لم يعرفه أحد حتى الآن.

- وأين الجثة.

وأشار جيرود إليها قائلاً:

- ها هي ذي، والطعنة في القلب، بنفس الخنجر الذي سرق أمس من كوخ الفيلا، واعتقد أن القتل وقع بعد سرقة الخنجر مباشرة، ويمكنك أن تفحص الخنجر بحرية، فليس عليه أية آثار للبصمات.

وكان الطبيب قد انحنى يفحص الجثة.

وقال المفتش جيرود:

- إن الجريمة ازدادت غموضاً، ولكنني سأعرف كيف أضع يدي على القاتل أو القتلة.

وفي تلك اللحظة وقف الطبيب وقال للمفتش في دهشة:

- أتقول إن هذا الرجل قتل أمس صباحاً؟

- لقد حددت هذا الوقت بناء على وقت سرقة الخنجر، ولكن من المحتمل أن يكون قتل في أي وقت أمس؛ صباحاً أو مساءً..

وهنا قال الطبيب بهدوء:

- إن هذا الرجل مات أو قتل منذ ثمان وأربعين ساعة، وربما أكثر.

وتبادلنا جميعاً نظرات الدهشة!

- ١٥ -

وتمتمت قائلاً كأنما أحدث نفسي:

- كيف يمكن أن تكون الوفاة قد تمت قبل ثمان وأربعين ساعة بينما الجريمة وقعت بخنجر سرق منذ أربع وعشرين ساعة!

وقبل أن يرد أحد، أقبل أحد الشرطة وسلم إليّ برقية من بوارو يقول فيها إنه سيصل إلى ميرلينفيل في قطار الثانية عشرة والنصف ظهراً، ونظرت إلى ساعتي فوجدتها الثانية عشرة والربع..

ومن ثم استأذنت في الانصراف.

وأسرعت إلى المحطة لأكون أول من يخبر بوارو بالتطورات الجديدة في الجريمة.

ولما تأخر القطار عن موعده بضع دقائق، شغلت وقتي بالحديث مع رئيس الحمالين.

وكان رجلاً تبدو عليه سمات الذكاء وقوة الملاحظة، وسألته عن احتمال رؤيته لاثنين من الأجانب غادرا المدينة ليلة الحادث في قطار منتصف الليل ولكنه أكد لي أنهما لو كانا قد فعلا هذا لرآهما، وأنه لا يعقل أن يركب أجنبيان قطار منتصف الليل دون أن يغفل عنهما..

وفجأة وجهت إليه سؤالاً لم أدر في تلك اللحظة كيف خطر ببالي..

- والمسيو جاك رينولد.. هل غادر المدينة في تلك الليلة بقطار

منتصف الليل؟

ولشد ما كانت مفاجأتي حين أجاب قائلاً:

ـ لا يا سيدي.. كيف يغادر المدينة بعد أن كان قد وصل إليها قبل نصف ساعة!

وفكرت في عبارته مدهوشاً..

ثم قلت ببطء:

ـ أتعني أن الشاب جاك رينولد وصل إلى المدينة في تلك الليلة!

ـ نعم.. وصل إليها في آخر قطار يصل إليها، أعني في قطار الساعة الحادية عشرة والنصف مساء.

ودارت الأرض بي، وأدركت سر الخوف المطل من عيني الحسناء مارتا دوبريل.

إذن فقد كان جاك رينولد موجوداً بالمدينة عند وقوع الجريمة، فلماذا لم يقل هذا؟

بل لماذا جعلنا نعتقد بأنه كان في ميناء شيربورج وقت وقوع الجريمة؟ ولا شك أن مارتا كانت تعرف هذه الحقيقة.. كانت تعرف أنه كذب علينا، ولذلك استبد بها الخوف، ولذلك أرادت أن تعرف منا ما إذا كان الاشتباه قد تركز حول شخص معين أم لا..

وقطع حديثي مع رئيس الحمالين وصول القطار الذي يقل بوارو من باريس، وما كاد يراني حتى عانقني مبتهجاً وهو يقول:

ـ لقد نجحت في مهمتي في باريس يا عزيزي هاستنج.

ـ أحقاً؟ إني سعيد بهذا، ولكن هل سمعت آخر الأنباء؟

ـ أية أنباء؟ هل قبض جيرود على القاتل؟

ـ لا.. ولكن يجب الذهاب فوراً إلى الفيللا. لقد وقعت جريمة ثانية.

وفوجيء بوارو بهذا النبأ..

وتمتم كأنه لا يصدق ما سمع:

ـ ماذا تقول؟ جريمة ثانية؟ إذن فأنا مخطيء، إذن فقد فشلت في مهمتي بباريس! لا شك أن جيرود سيسخر مني.

ـ ألم تكن تتوقع هذا.

ـ أنا.. لا طبعاً، إن هذا النبأ هدم نظريتي من أساسها، ولكن هذا مستحيل.. مستحيل.. مستحيل أن أكون مخطئاً إلى هذا الحد!

وقبل أن أقول شيئاً، أردف هو قائلاً:

ـ انتظر يا صديقي.. لا تقل شيئاً.. إن وقوع هذه الجريمة مستحيل إلا إذا.

وصمت برهة مفكراً.

ثم قال بهدوء وثقة:

ـ إن هذا القتيل في الجريمة الثانية لا بد أن يكون رجلاً متوسط الطول، في حوالي الخمسين من العمر، وقد وجدت جثته في الكشك القريب من مكان الجريمة الأولى، وقد مضى على الوفاة أكثر من ثمان وأربعين ساعة، وطعن بخنجر، وليس من الضروري أن تكون الطعنة في الظهر.

وجاء دوري لأفتح فمي في دهشة بالغة وكأني لا أصدق ما سمعت، ثم خطر ببالي فجأة أن بوارو عرف ـ على نحو ما ـ بأمر هذه الجريمة الثانية، وإلا لما ذكر هذه التفاصيل بكل هذه الدقة.

ومن ثم هتفت قائلاً:

ـ بوارو، إنك تسخر مني ولا شك!

ـ أؤكد لك أني لم أسمع بهذه الجريمة الثانية إلا منك، ألم تر وقع الخبر علي!

ـ ولكن كيف عرفت كل هذه الحقائق عنها!

ـ لأني على صواب في استنتاجي، لأني لم اخطيء في النظرية التي تصورت بها وقوع الجريمة. الأولى والثانية. والآن إذا نحن انعطفنا يساراً، فسنصل إلى ملعب الجولف ومنه إلى فيللا جنيفييف

في أسرع وقت.

وحدثت بوارو بما عرفت من أمر الجريمة الثانية أثناء سيرنا.

وأخيراً قال:

ـ كان الخنجر موجوداً في الجثة، أليس كذلك، هذا عجيب! أهو نفس الخنجر الذي ارتكبت به الجريمة الأولى!

نعم، إنه هو نفسه وهذا ما يجعل الأمر مستحيلاً!

ـ لا شيء مستحيل يا عزيزي، ربما كان هناك خنجران من طراز واحد.

فرفعت حاجبي وقلت بدهشة:

ـ هذا احتمال بعيد الوقوع إلى حد كبير.

ـ لماذا.. إن هذا الخنجر صنع من حطام طائرة بناء على رغبة جاك رينولد ليقدمه هدية، وإذا كان في إمكانه أن يأمر بصنع خنجر واحد، ألم يكن في إمكانه أيضاً أن يأمر بصنع خنجر ثان ليحتفظ به لنفسه!

ـ ولكن لم يذكر أحد احتمال وجود خنجرين من هذا النوع!

ـ الإنسان في مثل هذه الحالات لا يعتمد فقط على ما «يقال»، فهناك أشياء لا تذكر أثناء التحقيق لأهميتها، أو لأن أحداً لم يسأل عنها، وهناك أشياء تذكر عمداً لأهميتها أيضاً حتى دون أن يسأل أحد عنها، وهذا كله يتوقف على الحوافز التي تسيطر على نفسية الشاهد أو المتهم.

ووصلنا إلى الكشك.

وكان الجميع لا يزالون بداخله.

وبادلهم بوارو التحية، ثم ألقى نظرات فاحصة على جوانبه وأمسك بالملابس القديمة وفحصها بنظرات سريعة وهو يقول:

ـ ملابس قديمة للبستاني.

وقال جيرود بهزء:

ـ نعم، طبعاً.

وركع بوارو بجوار الجثة وراح يفحصها بدقة ملاحظاً خشونة الأصابع وتشقق الأظافر.

ثم نهض وقال للطبيب:

ـ هل لاحظت وجود آثار زبد حول الفم يا دكتور؟

ـ لا.. اعترف أني لم ألاحظ هذا.

ـ إذن افحص جوانب الفم مرة أخرى.

وقال الطبيب وهو يومىء برأسه بعد أن قام بفحص جوانب الفم:

ـ نعم.. إن آثار زبد لا تزال حول الفم!

وتناول بوارو الخنجر الذي كان قد انتزع من الجثة ووضع في إناء زجاجي بجوارها:

وفجأة قال وقد برقت عيناه:

ـ إنه لجرح عجيب هذا، ألاحظت يا دكتور أنه لم ينزف دماً؟ لا توجد آثار دماء على الملابس حول الجرح، ولا يوجد على نصل الخنجر إلا آثار دماء بسيطة جداً كأنها ماء أصفر اللون.

وقال الطبيب:

ـ إني اعترف بأن هذا شيء يثير العجب!

ـ لا.. مطلقاً، إنه لأمر بسيط، لقد طعن الرجل بعد وفاته، أليس كذلك يا مسيو جيرود؟

وأومأ جيرود برأسه وقال:

ـ نعم.. إنني اتفق معك في هذا يا مسيو بوارو.

وهتف المحقق المسيو هوتيت قائلاً:

ـ ولكن لماذا؟ لماذا يطعن رجل بالخنجر بعد وفاته؟

ـ لتحقيق هدف معين.

وقال المسيو بكس:

ـ إذن كيف مات الرجل؟

- مات ميتة طبيعية، مات في نوبة صرع.

وعاد الدكتور ديورانت إلى فحص الجثة بإمعان.

ثم نهض قائلاً:

- إني اتفق معك في هذا الرأي يا مسيو بوارو، إني آسف إذ ظننت خطأ أنه مات بطعنة الخنجر..

وأصبح بوارو بطل الموقف، وراح الجميع يقدمون له التهنئة على براعته وقوة ملاحظته.

وشكرهم بوارو جميعاً، ثم استأذن ليعود إلى الفندق ويتناول طعام الغداء.

وقبل أن نخرج، قال جيرود مشيراً إلى الشعرة الطويلة التي وجدت حول مقبض الخنجر.

- ما رأيك في هذه الشعرة يا مسيو بوارو!

فهز بوارو كتفيه وقال:

- مزيد من التضليل يا مسيو جيرود!

ولما وصلنا إلى الفندق وطلبنا الغداء، قلت:

- ألا تحدثني عن مهمتك في باريس؟

- بكل تأكيد يا عزيزي.

ثم أخرج من جيبه قصاصة باهتة من إحدى الصحف القديمة جداً وقدمها إليّ قائلاً:

- أتعلم من هي صاحبة هذه الصورة المنشورة في هذه القصاصة؟

فأومأت برأسي وقلت:

- رغم أن الصورة التقطت منذ سنوات طويلة، إلا أن الشبه واضح، إنها صورة مدام دوبريل.

فابتسم بوارو وهز رأسه وهو يقول:

- أصبت وأخطأت في وقت واحد..

- كيف؟

- إنها صورة مدام دوبريل حقاً، ولكن مدام دوبريل عندما نشرت لها هذه الصورة في الصحف لم يكن اسمها مدام دوبريل.

- ماذا كان اسمها عندئذ!

- كان اسمها مدام بيرولدي التي أثارت محاكمتها ضجة كبرى في ذلك الوقت.

وتذكرت فوراً قضية مدام بيرولدي التي أثارت ضجة في صحف باريس وصحافة العالم كله.

- ١٦ -

قبل عشرين سنة من وقوع هذه الجريمة التي نحن بصددها، وصل الى باريس المسيو أرنولد بيرولدي مع زوجته الحسناء وابنته الطفلة.

وكان المسيو بيرولدي شريكاً أصغر في شركة لصناعة الخمور، وكان رجلاً في منتصف العمر قوي الجسم، يحب أطايب الحياة، ويقدس زوجته الجميلة.

ولما كانت الشركة لا تدر إلا أرباحاً بسيطة، فقد عاش الزوجان في مسكن متوسط عيشة متوسطة.

وبقدر ما كان المسيو بيرولدي بسيطاً عادياً، كانت زوجته الحسناء مغرورة بجمالها وشبابها، مشغوفة بالأبهة والترف، مولعة بالمظاهر والتفاف الرجال حولها.

ولما كان الغموض يحيط بمولدها، فقد أشاعت أنها الابنة غير الشرعية لأمير روسي مات في الثورة البلشفية.

وأياً كانت حقيقة مولدها، فقد ظلت جيان بيرولدي موضع الحب والافتتان من جميع الرجال والشبان الذين يتعرفون بها.

وكان بين أصدقاء الزوجين محام شاب هو جورج كونو

وسرعان ما ربط الحب القوي بينه وبين الزوجة الشابة الحسناء جيان ـ أو مدام بيرولدي ـ سرعان ما بدأت الأقوال تنتشر همساً عن

هذه العلاقة وعن علاقات أخرى بين مدام بيرولدي وبين رجال آخرين.

وبعد ثلاثة أشهر من بدء هذه العلاقة، ظهر في حياة الزوجين وافد امريكي يدعى هيرام تراب، قيل إنه من أصحاب الملايين.

وما كاد يتعرف على مدام بيرولدي حتى سقط أسير جمالها، وحتى وضح للجميع أنه يحبها بقدر ما يحترمها.

وفي خلال هذه الفترة أخذت مدام بيرولدي تسر إلى أصدقائها وصديقاتها بمخاوفها من أجل زوجها، لأنه انزلق في بعض الشؤون السياسية الدولية، وانضم إلى إحدى الجمعيات الخطيرة، ورغم أن هذا كله كان في مرحلة شبابه، إلا أن هذه الجمعية كانت قد عهدت إليه «بسر» خطير، وأن هذا «السر» لا يزال يهدد حياته.

وفي الثامن والعشرين من شهر نوفمبر، وقع ما كانت تخشاه الزوجة الشابة مدام بيرولدي، ذلك أن الخادمة التي اعتادت أن تذهب كل صباح إلى مسكن مدام ومسيو بيرولدي للعمل فيه، فوجئت في صباح ذلك اليوم بباب المسكن مفتوحاً على مصراعيه، وبسماع أنين خافت صادر من غرفة النوم، فلما دخلتها فوجئت بمنظر رهيب منظر مدام بيرولدي وهي مقيدة اليدين والقدمين ومكممة الفم.

أما المسيو بيرولدي فقد كان ملقى على السرير مقتولاً بطعنة خنجر في القلب، والدماء تلوث ملابسه والفراش.

وكانت أقوال مدام بيرولدي في التحقيق واضحة وبسيطة:

لقد استيقظت في سكون الليل لترى أمامها شخصين مقنعين ملتحيين يأمرانها بالتزام الصمت، ثم يطالبان زوجها بذلك «السر» الذي سبق أن حدثت أصدقاءها عنه..

ورفض الزوج أن يطيع أوامرهما!

وانتهى الأمر إلى تقييد الزوجة وتكميمها، ثم قتل الزوج بطعنة

خنجر في القلب، ثم سرقة المفاتيح من جيبه وفتح خزانة المسكن والاستيلاء على مجموعة من الأوراق.

وشهدت الزوجة بأنها لم تستطع أن تتعرف على المجرمين ولكنها أكدت أنهما روسيان.

وأثار الحادث ضجة كبرى، فلم يستطع رجال المباحث العثور على الشخصين المقنعين الملتحيين.

وبدأت الضجة تتلاشى من أذهان الناس عندما حدث تطور جديد أدى إلى القبض على مدام بيرولدي واتهامها بقتل زوجها.

وأثارت المحاكمة اهتماماً كبيراً في جميع الأوساط.

وقد ضاعف من اهتمام العالم بها جمال الزوجة وشبابها والغموض المحيط بمولدها!

وثبت خلال المحاكمة، ثبوتاً قاطعاً، بأن والدي جيان بيرولدي من تجار الفاكهة في مدينة ليون، وأن الاشاعة حول غموض مولدها، وحكاية «السر» والجمعيات السرية والرجال المقنعين والملتحين ليس إلا من بنات خيال المتهمة الحسناء، كما شهد المليونير الأمريكي ـ تحت وطأة الاستجوابات ـ بأنّ مدام بيرولدي بادلته الحب وقررت التخلص من زوجها الفقير لتصبح زوجة له، وتتمتع بثرائه العريض.

ورغم هذا كله، فقد أصرت مدام بيرولدي على موقفها طيلة المحاكمة متشبثة بأقوالها الاولى، مؤكدة أنها من أصل روسي عريق، وأن الجريمة وقعت بأيدي رجلين مقنعين ملتحيين!

أما تاجر الفاكهة الذي زعم أنه أبوها، فهو في الواقع الرجل الذي عهد إليه أبوها الأمير بتربيتها!

ولكن المدعي العام استطاع، رغم هذا كله، أن يثبت التهمة على مدام بيرولدي وشريكها المحامي الشاب جورج كونو.

وكان هذا الأخير قد استطاع أن يهرب ويختفي قبل أن يصدر الأمر بالقبض عليه.

وقد دلت التحقيقات على أن القيود التي وجدت في يدي مدام بيرولدي لينة مفككة بحيث كان من الممكن أن تتخلص منها بسهولة.

وعند اقتراب نهاية المحاكمة، وصل خطاب مرسل من باريس إلى المدعي العام، وكان مرسله هو المتهم الهارب جورج كونو، وقد سجل فيه اعترافاً كاملاً بالجريمة.

فقال: إنه هو الذي دبر خطة الجريمة مع مدام بيرولدي، وكان يعتقد أن المسيو بيرولدي يقسو في معاملته لزوجته الحسناء.

وقد دفعه حبه الشديد للزوجة ـ هذا الحب الذي ظنه متبادلاً ـ إلى تدبير خطة للقضاء على الزوج القاسي، ثم الزواج من حبيبته.

ولكنه فوجىء بعد ارتكاب الجريمة، بأن الزوجة الحسناء خدعته ودفعته إلى الاشتراك معها في قتل الزوج، للتخلص منه ومن الزوج في وقت واحد والزواج من المليونير الأمريكي هيرام تراب.

واختتم جورج كونو اعترافاته قائلاً:

ـ إنه كان مخلب القط في هذه الجريمة، وإنه لم يرتكبها إلا تحت تأثير الزوجة القاتلة!

وأمام هذه الاعترافات، انهارت مدام بيرولدي واعترفت بدورها قائلة:

ـ إن جورج كونو هو الذي ارتكب الجريمة بمفرده مدفوعاً بحبه الشديد لها وبغيرته القاتلة من زوجها.

وبعد أن ارتكب الجريمة طلب منها أن تلتزم الصمت، وإلا قتلها هي أيضاً؟ فلم يسعها إلا أن تلتزم الصمت وتخضع لأوامره خوفاً على حياتها.

واستطاعت المرأة الحسناء أن تؤثر على المحلفين بشبابها ودموعها قائلة:

- إنها حقاً أخطأت في إقامة علاقة مع شخص غير زوجها، ولكن خطأها لم يتجاوز هذا الحد.

وصدق المحلفون أقوالها، واصدروا قرارهم ببراءتها وإدانة المتهم الهارب جورج كونو.

ولكن رجال الشرطة، رغم ما بذلوه من محاولات مضنية، عجزوا تماماً عن الاهتداء إليه والقبض عليه.

ولم تلبث مدام بيرولدي أن اختفت عن باريس، لتعيش مع ابنتها الوحيدة في مكان آخر تحت اسم آخر!

- ١٧ -

وبعد أن فرغت من قراءة قضية بيرولدي، أو على الأصح مدام دوبريل كما أسمت نفسها في مدينة ميرلنفيل

قلت لبوارو:

- لقد فهمت الآن كل شيء يا بوارو!

- وماذا فهمت يا عزيزي؟

- فهمت أن مدام دوبريل هي التي قتلت المستر رينولد، لأن الجريمتين متشابهتان تماماً في كل شيء.

- أتعتقد إذن أن مدام بيرولدي، أعني مدام دوبريل هي التي ارتكبت الجريمة الأولى، وإنها نالت حكم البراءة خطأ!

- طبعاً، ألا ترى أنت هذا؟

وهز بوارو كتفيه وقال:

- إن مدام دوبريل لم ترتكب الجريمة الأولى فعلاً، أعني إنها لم تطعن زوجها بالخنجر.

فقلت بلهجة تأكيد:

- ولكنها هي التي ارتكبت بنفسها الجريمة الثانية.

- ولماذا تؤكد هذه الحقيقة!

- لماذا؟ لماذا؟

ولم أستطع أن أتمم العبارة

حقاً لماذا أكدت أن مدام دوبريل هي القاتلة في الجريمة الثانية؟ ما هي الأدلة على صحة هذا الرأي! ما هو الحافز على ارتكابها مثل هذه الجريمة؟

لا بد أن يكون هناك حافز، لأن الجرائم لا ترتكب اطلاقاً بدون حوافز إلا إذا كان المجرم مجنوناً..

والحافز هنا عكسي، أي إن مدام دوبريل كانت تستفيد مالياً من بقاء المستر رينولد على قيد الحياة، فلماذا تقتل الأوزة التي تبيض لها الذهب؟

ولم يسعني إلا أن أقول في النهاية:

ـ أيا كان الأمر فليس المال هو الحافز الوحيد لارتكاب الجرائم.

ـ نعم.. هناك الحافز العاطفي أيضاً، وحافز الانتقام، فضلاً عن الجرائم التي ترتكب بسبب الانحرافات العقلية والاجتماعية، ولكن هذا النوع من الجرائم لا ينطبق على جريمتنا هذه.

ـ هل يمكن أن تكون مدام دوبريل قد ارتكبت جريمتها في ساعة غضب أو إثارة عاطفية! أو بسبب الغيرة، أو خوفاً من أن تكون عاطفة رينولد نحوها قد هدأت!

ـ ربما.. ولكن كيف تفسر حفر القبر، إن عملية الحفر تدل على أن هناك رجلاً مشتركاً في الجريمة.

ـ ربما كان لها شريك ساعدها على ارتكابها.

فهز بوارو رأسه وقال:

ـ لنترك هذا الآن ولنتحدث عن نقطة أخرى هامة، لقد قلت إن هناك تشابهاً في الجريمتين، ولهذا اتهمت مدام دوبريل بارتكاب الجريمة الثانية، فما هو هذا التشابه.

فقلت مدهوشاً:

ـ إن التشابه واضح كثيراً، واضح في الحديث عن الرجلين المقنعين الملتحيين و «السر» هي مدام رينولد، وليست مدام

دوبريل!

وفكرت برهة..

ثم قلت:

ـ قد تكون مدام رينولد شريكة لمدام دوبريل في هذا الموضوع!

فهز بوارو رأسه وقال:

ـ هذا احتمال بعيد جداً، وليس هناك ما يدل عليه أو يبرره، ولكننا على كل حال نقترب كثيراً من الحقيقة.

ـ ماذا تعني؟ هل عرفت شيئاً!

ـ نعم.. يا عزيزي هاستنج.. عرفت لماذا أرسل المسيو رينولد يستدعيني.

ـ وهل عرفت الجناة؟

ـ عرفت واحداً منهم على الأقل.

ـ من هو؟

ـ لا أستطيع أن أذكره الآن، ولكن يكفي القول إني عرفت سر الجريمة الأولى، أما الجريمة الثانية، أعني مسألة اكتشاف الجثة الثانية فلا تزال محاطة ببعض الغموض.

ـ ولكنك قلت يا بوارو إن الشخص الذي وجدت جثته في كشك الأدوات الزراعية مات ميتة طبيعية.

فابتسم بوارو وقال:

ـ إن الإنسان قد يجد جريمة بدون مجرم، ولكن إذا كان هناك جريمتان فلا بد من وجود جثتين!

ـ ما معنى هذا؟

ولكن بوارو أرسل نظرة عبر النافذة..

ثم قال:

ـ ها هو ذا!

ـ من؟

- جاك رينولد، لقد أرسلت إليه أدعوه لمقابلتي هنا.

وعندئذ تذكرت حديثي مع رئيس الحمالين، فقلت لأفاجىء بوارو بهذه المعلومات الجديدة:

- هل تعلم بأن جاك رينولد كان في ميرلينفيل عند وقوع الجريمة، أي لم يكن في شيربورج كما زعم!

ولشد ما كانت دهشتي حين ابتسم بوارو وقال:

- نعم.. عرفت هذا من نفس المصدر، ومن رئيس الحمالين في المحطة، ولا شك أن صاحبنا جيرود قد عرف هذه الحقيقة أيضاً.

- أتظن انه، انه هو، أعني جاك؟ لا هذا مستحيل!

وعندئذ أقبل جاك وتبادل معنا التحية!

وقال له بوارو:

- لقد طلبت مقابلتك هنا يا مسيو رينولد لأن الفيللا ليست بالمكان الملائم لمثل هذه المقابلة، لا سيما وأن الأمور بيني وبين المفتش جيرود ليست كما ينبغي، ولهذا فأنا لا أريد أن أقدم له بعض الحقائق التي اهتديت إليها.

فقال جاك بلهجة مهذبة:

- هذا من حقك طبعاً يا مسيو بوارو.

- إذن هل أستطيع أن أطلب منك خدمة بسيطة؟

- إني تحت أمرك.

- إني أرجوك أن تركب القطار إلى بلدة ابالاك وتسأل في قسم الودائع بالمحطة عن حقيبة تركها رجلان أجنبيان في ليلة وقوع الجريمة وأعتقد أن ناظر المحطة سيذكر أمر هذه الحقيبة، فهل تفعل هذا من أجلي؟

- طبعاً.. طبعاً يا مسيو بوارو!

- وأرجو أن تذهب من هنا إلى المحطة فوراً، أعني أرجوك ألا تذهب إلى الفيللا الآن حتى لا يعرف جيرود أمر هذه المهمة.

ونهض الشاب واقفاً وقال:

- سأذهب إلى المحطة مباشرة.

- حسناً.. وهناك سؤال أخير يا مسيو جاك، لماذا لم تخبر المسيو هوتيت المحقق بأنك كنت هنا - في ميرلينفيل - ليلة الحادث؟

فاحمر وجه الشاب وقال متلعثماً:

- لقد كنت في ذلك الوقت في ميناء شيربورج يا سيدي!

فضاقت عينا بوارو حتى صارتا كعيني قط.

ثم قال:

- إن عمال المحطة شهدوا بأنك وصلت إلى ميرلينفيل ليلة الحادث في قطار الساعة الحادية عشرة والنصف.

وتردد جاك برهة ثم قال:

- وماذا لو أني فعلت؟ هل يعني هذا أنني قتلت أبي؟

إنني أريد فقط تفسيراً لهذا التصرف!

- إنه تفسير بسيط، عدت لأرى حبيبتي مارتا دوبريل بعد أن علمت أني سأغيب في سفر طويل، وقد أردت أن أؤكد لها حبي وإخلاصي وبقائي على العهد مهما طالت مدة سفري.

- وهل رأيتها؟

- نعم.

- وبعد ذلك؟

- عندما عدت إلى المحطة وجدت القطار قد تحرك منها فسرت على قدمي إلى بلدة سانت بوفيز حيث طلبت من صاحب كراج أن يحملني في سيارة مأجورة إلى شيربورج.

- بلدة سانت بوفيز، إنها تقع على مسافة خمسة عشر كيلومتراً؟ هل سرت على قدميك كل هذه المسافة؟

- نعم.

فأومأ بوارو برأسه.

ولما انصرف الشاب، وثب بوارو وقال لي:

ـ هلم يا هاستنج، يجب أن تسرع لنمضي وراءه.

وسرنا وراءه على مسافة بعيدة، ولما رأى بوارو أن الشاب سار في طريق المحطة قال:

ـ حسناً.. لقد نجحت في خداعه، إنه لن يجد أية حقيبة في محطة آبالاك.

ـ هل أردت فقط أن تبعده عن هذا المكان مدة معينة.

ـ تماماً، يا لك من ذكي يا هاستنج، والآن هلم إلى الفيللا.

- ١٨ -

ولما اقتربنا من الفيللا، انحرف بوارو إلى الكشك الذي عثر فيه على الجثة الثانية، ولكنه لم يدخله، وإنما توقف عند المقعد الحجري القريب منه وبعد لحظات من التفكير تقدم إلى خط الشجيرات الفاصل بين حديقة فيللا جنيفيف وحديقة فيللا مرجريت.

وبعد لحظات أخرى من التفكير، أزاح بعض أغصان الشجيرات جانباً وقال:

ـ من حسن الحظ أني أرى الآنسة مارثا دوبريل في حديقة فيلتها، إني أريد التحدث معها على انفراد بدلاً من الذهاب إليها عن طريق باب فيلتها.

وهمس يناديها، وأقبلت الفتاة تجري نحوه.

وقال لها:

ـ هل تسمحين بالحديث معك يا آنسة؟

ـ طبعاً.. طبعاً.

ـ وكان الخوف لا يزال مطلاً من عينيها وهي تسمع بوارو يقول:

ـ هل تذكرين يا آنسة يوم جريت ورائي لتسأليني عما إذا كنا نشتبه في أحد أم لا؟

ـ نعم، وقد قلت لي إن الاشتباه يدور حول اثنين من أميركا

الجنوبية.

- حسناً، هل يمكن أن توجهي إلي ذلك السؤال مرة أخرى.

- ماذا تعني يا سيدي.

- لو أنك سألتني لقلت لك إن الاشتباه يدور حول شخص آخر غير الاثنين اللذين قيل إنهما أتيا من أميركا الجنوبية.

فتمتمت بصوت خافت:

- من..

- جاك رينولد.

وصاحت الفتاة بفزع شديد:

- لا.. هذا مستحيل، هذا مستحيل من الذي يشتبه فيه؟

- المفتش جيرود.

- جيرود؟ إن هذا الرجل شديد القسوة، لشد ما أشعر بالخوف ولكن، ولكن!

وارتسمت في ملامح وجهها إمارات التصميم والإرادة.

وخطر لي أن الفتاة رغم مخاوفها تتمتع بروح نضالية لا تقهر، وقال لها بوارو:

- أنت تعرفين طبعاً أنه كان هنا ليلة وقوع الجريمة.

- نعم، لقد أخبرني بذلك.

- لم يكن من الحكمة في شيء أن يخفي هذه الحقيقة عن المحققين.

- نعم.. نعم، ولكننا لا نستطيع الآن أن نضيع الوقت في الندم، لا بد أن تعمل على إنقاذه، إنه بريء بلا شك، ولكن جيرود رجل له مكانته وشهرته، ولا بد أن يقبض على أحد، ولهذا قرر أن يقبض على جاك.

فقال بوارو:

- إن الأدلة ضده، فهل تعرفين هذا.

فقالت بجرأة:

- إنني لست طفلة يا مسيو بوارو، إني أعرف أنه بريء، وأياً كانت الأدلة ضده، فلا بد من تفنيدها.

وأرسل بوارو إليها نظرة ثاقبة، ثم قال:

- آنستي، أليس هناك شيء تخفيه عنا.

فأومأت برأسها في ارتباك.

ثم قالت:

- نعم هناك شيء، ولكني لا أدري هل تصدقه أم لا!

- أخبرينا به على كل حال.

- لقد استدعاني المسيو جيرود لأتعرف على الجثة الثانية في الكشك وقلت له حيث رأيتها، إني لا أعرف صاحبها، ولكني الآن تذكرت أني رأيت ذلك المجني عليه وهو على قيد الحياة!

- أين.. ومتى.

- كنت أسير في هذه الحديقة في صباح اليوم الذي قتل في مسائه المسيو رينولد، أي إن المسيو رينولد كان حياً في ذلك الصباح، وسمعت صوت مشاجرة، فأزحت بعض أغصان هذه الشجيرات ونظرت، ورأيت بالقرب من الكشك المسيو رينولد يتشاجر بصوت مرتفع مع رجل صعلوك رث الملابس، وكان الصعلوك يتوسل حيناً ويهدد حيناً آخر، وقد فهمت أنه يطالب المسيو رينولد ببعض المال، وفي تلك اللحظة استدعتني أمي، فأسرعت إليها، وأنا الآن واثقة بأن ذلك الصعلوك الرث الملابس هو نفس القتيل الذي عثر على جثته في ذلك الكشك.

وقال بوارو بهدوء:

- ولماذا لم تقولي هذا يا آنسة!

- لأني لم أتعرف عليه في أول الأمر، فقد كانت الملابس التي على الجثة أنيقة وفاخرة، إلا أنني تذكرت ملامح الوجه فيما بعد.

وسمعنا صوت الأم تنادي ابنتها.
فاستدارت مارتا وهي تقول:
ـ هذه أمي، يجب أن أسرع إليها.
ـ وبعد انصرافها، قال بوارو وهو يمسك بذراعي:
ـ هلم إلى الفيللا الآن.
ـ ما رأيك فيما قالته الفتاة! أهي صادقة أم أرادت أن تحول الشبهات عن حبيبها جاك.
ـ إنها صادقة تماماً، ولكنها كذبت جاك مرة أخرى، أتذكر حين سألته هلى رأى مارتا في ليلة الحادث، فتردد ثم قال إنه رآها، لقد شككت في أقواله، ولهذا جئت لأسألها، وقد أيدت كلماتها ظنوني حين سألتها هل كانت تعلم أن جاك في البلدة ليلة وقوع الحادث، فقالت: «نعم.. أخبرني بذلك»، معنى هذا أنه لم يرها في تلك الليلة، وإنما أخبرها فقط بأنه كان موجوداً، والآن، إذا لم يكن قد عاد لرؤية حبيبته كما زعم، فلماذا عاد؟
فهتفت مأخوذاً:
ـ أتريد أن تقول إنه عاد ليقتل أباه!
فقال بوارو:
ـ لا تكن عاطفياً يا عزيزي.. لقد رأينا أمهات يقتلن ابناءهن للحصول على مبالغ التأمين.. ولهذا فلا يمكن أن تستنكر شيئاً مهما يكن.
ـ ولكن ما هو الحافز.
ـ المال طبعاً، لا تنس أن جاك كان يعتقد حتى اللحظة الأخيرة أنه سيرث نصف ثروة أبيه.
ـ وذلك الصعلوك، ما دوره في الجريمة، لماذا قتل.
فهز بوارو كتفيه وقال:
ـ سيقول جيرود إنه ساعد جاك على ارتكاب الجريمة ثم قتله بعد

ذلك ليضمن سكوته.
ـ والشعرة، الشعرة النسائية التي وجدت حول مقبض الخنجر.
ـ لن يعترف جيرود بأنها من رأس امرأة، لأن بعض الشبان يطيلون شعورهم إلى حد كبير، ولهذا سيقول إنها ليست بالضرورة شعرة نسائية.
ـ وهل تعتقد أنت بهذا.
ـ لا.. إنها شعرة نسائية حقاً. بل وأعرف صاحبة هذه الشعرة أيضاً.
ـ أهي مدام دوبريل.
ـ ربما.. من يدري.
وتمالكت أعصابي.
وقلت ونحن ندخل إلى صالة الفيللا:
ـ وماذا تنوي أن تفعل الآن.
ـ أريد أن افتش حاجيات جاك رينولد، وهذا ما دعاني إلى إبعاده لمدة ساعة أو أكثر.
وراح بوارو يفتش غرفة جاك بسرعة ودقة وبراعة.
فتح الأدراج وفتش الملابس والياقات والمناديل والجوارب والمنامات وكل شيء.
وفجأة قلت لبوارو محذراً حين رأيت سيارة تقف أمام باب الفيللا:
ـ بوارو، إن سيارة وقفت أمام الباب وهبط منها جيرود وجاك واثنان من رجال الشرطة.
وصاح بوارو في لهجة انتصار وهو يدس شيئاً يشبه الصورة الفوتوغرافية في جيبه:
ـ لقد عثرت على ما أريد أخيراً..
وهبطنا إلى الصالة حيث لقينا جيرود ينظر إلى أسيره جاك مفكراً وقال له بوارو:

ـ طاب يومك يا مسيو جيرود، ماذا حدث؟
ـ وأومأ جيرود إلى جاك برأسه وقال:
ـ كان يحاول الهرب، ولكنني كنت أراقبه، إني أقبض عليه الآن بتهمة قتل والده المسيو بول رينولد.

والتفت بوارو إلى جاك الذي كان معتمداً بكتفه على الباب وقد شحب وجهه:
ـ ما رأيك في هذا؟
ـ وتمتم جاك قائلاً:
ـ لا شيء!

- ١٩ -

وقفت مدهوشاً لا أكاد أصدق سمعي.

ذلك أنه لم يخطر ببالي لحظة أن جاك رينولد هو المجرم، ولكني حين أخذت أراقبه وهو واقف متخاذل شاحب الوجه، لم يعد لدي شك في إدانته.

ولكنني فوجئت ببوارو يستدير إلى المفتش جيرود ويقول له:
ـ على أي أساس تتهم هذا الشاب؟
ـ أتتوقع أن أخبرك بما لدي من أدلة؟
ـ نعم. على سبيل المجاملة!

وتردد المفتش برهة..
ثم قال في تحد:
ـ هل تعتقد أنني أخطأت في القبض عليه؟
ـ ربما..
ـ حسناً، تعال وسأخبرك لتحكم بنفسك.

ثم فتح باب غرفة الصالون ودخل تاركاً الشاب في حراسة الشرطيين.

وبعد أن جلسنا قال بلهجة ساخرة:
ـ والآن يا مسيو بوارو، لسوف ألقي عليك محاضرة عن فن البحث الجنائي الحديث.

وأومأ بوارو برأسه باسماً.

بينما استطرد المفتش قائلاً:

- لقد تبين لي بعد الوهلة الأولى أن مسألة الأجنبيين الوافدين من شيلي ما هي إلا نوع من التضليل.

والأمر الثاني أن حفر القبر يحتاج إلى مجهود رجل، ولكنني لا أجد شخصاً يمكن أن يستفيد من مقتل المسيو بول رينولد، على أنه يوجد شخص واحد فقط كان يظن أنه سيستفيد من وفاة المسيو رينولد وهو المسيو جاك. وقد سمعنا عن المشاجرة التي وقعت بين الابن والوالد وعن التهديدات التي بعثها الابن، وعن قوله لوالده أنه يتمنى أن يراه ميتاً، وقد ثبت أن الابن كان في ميرلينفيل في ليلة وقوع الحادث ولكنه اخفى هذه الحقيقة، وهذا الاخفاء قد حول الشك في إدانته إلى يقين.

ثم عثرنا على ضحية أخرى مطعونة في القلب بنفس الخنجر، ونحن نعلم متى سرق ذلك الخنجر، وان الكابتن هاستنج هنا يستطيع أن يحدد وقت سرقة الخنجر، وأنه هو الوحيد الذي كان في مقدوره بعد عودته من شيربورج، أن يدخل الكوخ ويسرق الخنجر دون أن يشك فيه أحد.

فقاطعه بوارو فقال:

- ولكن هناك شخص آخر يمكن أن يكون السارق للخنجر!

- تعني المسيو ستونر سكرتير المسيو رينولد؟ لا.. لقد وصل إلى مدخل الفيللا مباشرة في السيارة المأجورة التي حملته من ميناء كاليه، صدقني.. لقد تحريت عن كل شيء.

لقد وصل جاك بالقطار، ومضت ساعة كاملة بين وصوله بالقطار وبين ظهوره بيننا في هذا الصالون، ولا شك أنه رأى الكابتن هاستنج وهو يغادر الكوخ مع تلك الآنسة تاركاً المفتاح في الباب، فتسلل الى الكوخ وسرق الخنجر وقتل به شريكه في الجريمة وأخفى جثته في

الكشك.

- الرجل الذي كان قد مات ميتة طبيعية قبل طعنة الخنجر.

فهز المفتش كتفيه وقال:

- ربما لم يكن يعرف إنه كان ميتاً. ربما كان الرجل مختفياً في الكشك ومات فيه. ولكن جاك دخل وطعنه بالخنجر وخرج مسرعاً، والواضح أنه كان واثقاً بأن هذه الجريمة الثانية سوف تعقد الأمور وتزيد من تضايل العدالة.

- ولكنه نسي أنه لا يستطيع تضليل المسيو جيرود.

- إنك تسخر مني يا مسيو بوارو، ولكني سأقدم إليك دليلاً لا ينقض أن مدام رينولد كذبت في حديثها عن الجريمة، إننا نعرف أنها كانت تحب زوجها، ولكنها كذبت لتتستر على القاتل، فعلى من تتستر المرأة في جريمة كهذه؟ تستر على نفسها، وأحياناً على حبيبها، ولكنها دائماً على أولادها، وهذا هو الدليل القوي الذي لا ينقض.

وأردف المفتش بلهجة انتصار:

- هذه هي أدلتي يا مسيو بوارو.. فما رأيك؟

- ولكنك نسيت شيئاً واحداً.

- ما هو؟

- كان جاك رينولد يعلم أن ملعب الجولف لم يتم بعد، فلماذا يحفر قبراً لأبيه في ملعب قد يؤدي استكماله إلى الكشف عن الجثة؟ خاصة وأن ملاعب الجولف يحفر فيها عدد من الحفرات الخاصة باللعبة!

فضحك المفتش وقال:

- لقد تعمد هذا حتى يعثر العمال على الجثة آجلاً أو عاجلاً، لانه ما كان ليستطيع أن يرث نصيبه من التركة إلا بعد ثبوت وفاة والده بصفة قاطعة.

فبرقت عينا بوارو وقال وهو ينهض:
ـ إذن لماذا يدفنه على الاطلاق، فكر يا حضرة المفتش، إذا كان جاك قد أراد أن نكشف الجثة حتى يرث نصيبه من التركة، فلماذا يحفر لها قبراً!
فهز المفتش كتفيه وتبعنا إلى الصالة.
وقال بوارو وهو يلتفت إليه هامساً:
ـ والماسورة الرصاص، ما رأيك عنها!
وفوجئنا في تلك اللحظة بالسيدة رينولد وهي تهبط السلم بسرعة وتهتف قائلة حين رأت ابنها مقبوضاً عليه:
ـ جاك.. ما معنى هذا؟
ـ لقد قبضوا علي يا أماه..
وأطلقت الأم صيحة عالية، ثم سقطت على الأرض بعد أن اصطدم رأسها بحاجز السلم.
وأسرعنا جميعاً إليها.
فقال بوارو بعد أن فحصها بسرعة:
ـ هناك احتمال في إصابتها بارتجاج في المخ، وإذا كان حضرة المفتش يريد استجوابها فعليه أن ينتظر أسبوعاً على الأقل.
وبعد أن تركنا السيدة بين يدي فرانسواز ودينيس، خرجت مع بوارو الذي سار صامتاً يفكر مقطب الجبين.
وأخيراً تجرأت وسألته:
ـ أترى أن جاك ليس مذنباً رغم كل ما قاله المفتش؟
وبعد برهة طويلة من الصمت رد:
ـ إني لا أدري يا هاستنج، فهناك احتمال ضئيل في أن يكون جاك هو المجرم فإذا ثبت ذلك، فلن يكون بناء على أدلة جيرود، وإنما على الرغم من كل الأدلة، فالمفتش مخطيء تماماً في كل أدلته، فأشد أدلته خطأ معروف لي.

ـ ما هو..
ـ إذا حاولت أن تحرك ذهنك، فستعرف ما أعني.
وسرنا نحو البحر، وهناك جلسنا على مقعد حجري، وشرعت أحرك ذهني لأعرف هذا الدليل الأكثر خطأ بين أدلة المفتش، وفجأة قلت وقد ومضت الفكرة في ذهني:
ـ لقد غفل المفتش عن شيء مهم كثيراً..
ـ ما هو..
ـ ذلك المتهم الهارب في قضية مدام بيرولدي، وأعني به جورج كونو..

- ٢٠ -

وعانقني بوارو في إعجاب شديد وهو يقول:

ـ أحسنت يا صديقي هاستنج، لقد استطعت أن تصل إلى أول الخيط بمفردك، وعليك الآن أن تستمر في استنتاجاتك، إنك على حق، لقد أخطأنا جميعاً لأننا نسينا ذلك المجرم الهارب جورج كونو.

وسرني إعجاب بوارو بقدرتي على التفكير والاستنتاج.

ومن ثم استطردت أقول:

ـ نعم.. رغم مرور عشرين عاماً على فرار جورج كونو، فليس هناك أي دليل على أنه مات خلال هذه المدة.

ـ أي إن في مقدورنا أن نفترض وجوده على قيد الحياة.

ـ تماماً..

ـ أو على الأقل انه كان موجوداً حتى الأيام الأخيرة السابقة.

ـ تماماً يا هاستنج، أحسنت.

وعدت أقول بحماس شديد:

ـ ولنفرض أنه كان يمر بأيام سوداء من الفقر والضياع وسوء الحال، فأصبح مجرماً، أو أفاقاً، أو صعلوكاً، وحدث أن أقبل إلى ميرلينفيل مصادفة فرأى مدام دوبريل، أي المرأة التي أحبها ولم يكف عن حبها طيلة تلك المدة.

ـ آه.. العاطفة مرة أخرى، كن على حذر يا هاستنج.

ـ إن الإنسان الذي يحب، لا ينسى حبه حتى لو ظن أنه كره الحبيب في لحظة يأس، وأياً كان الأمر فقد عثر على المرأة التي يحبها تعيش في هذه المدينة تحت اسم مستعار، ولكنه فوجيء بأنها صارت عشيقة المليونير، هو بول رينولد وتذكر جورج كونو الامه وحياته الضائعة بسبب حبه لهذه المرأة فتشاجر مع رينولد، ثم.. ثم أمن له وانتظره حتى رآه يمضي متسللاً لمقابلة حبيبته، وطعنه بالخنجر في ظهره.

ولما فرغ مما جنت يداه، بدأ يحفر قبراً ليخفي الجثة، وإني أتصور أن مدام دوبريل خرجت لتبحث عن حبيبها وتعلم سر تأخره عن الحضور فاصطدمت بجورج كونو وحدثت بينهما مشاجرة عنيفة استطاع خلالها أن يجرها إلى كشك الأدوات الزراعية، وهناك سقط في نوبة صرع.

والآن لنفرض أن جاك رينولد ظهر في تلك اللحظات فأخبرته مدام دوبريل بما حدث وبينت له الفضيحة التي يمكن أن تصيب ابنتها لو أن ماضي الأم عرف للجميع، وعلى هذا يجب اخفاء كل شيء.

ومن ثم نزل الشاب عند رغبتها، فذهب وأخبر أمه بالأمر واستطاع أن يقنعها للعمل معه ومع مدام دوبريل، وهكذا نفذ الجزء الثاني من الخطة، الجزء الذي ذكرته مدام دوبريل، بشأن تكميم فمها وشد وثاقها.

وتراجعت في مقعدي مزهواً باستنتاجاتي وقلت لبوارو:

ـ ما رأيك في هذا كله.

فقال بوارو بهدوء:

ـ أعتقد أنك تنجح في الكتابة للسينما يا عزيزي هاستنج.

ـ أتعني؟

ـ أعني أن قصتك هذه تصلح فيلماً سينمائياً ممتازاً لأنها أبعد ما تكون عن الحياة العادية المألوفة.

- إني لم أذكر التفاصيل حقاً، ولكن..
- ولكن ماذا؟ ماذا مثلاً عن استبدال الملابس، هل تعني مثلاً أن كونو بعد أن قتل رينولد، استبدل معه ملابسه ثم أعاد وضع الخنجر بالجرح.
- هذه مسألة غير هامة، ربما استطاع أن يحصل على ملابس فاخرة وبعض المال من مدام دوبريل قبل ارتكابه الجريمة.
- وكيف استطاع أن يحصل منها على المال والملابس.
- بالتهديد، بأن يكشف أمرها للمسيو رينولد وبذلك يضيع كل أمل لها في زواج ابنتها من ابنه.
- إنك مخطىء في هذا يا هاستنج لأنه كان في مقدورها أن تبلغ الشرطة عنه، لا تنس أن كونو كان مطلوباً للمحاكمة بتهمة القتل، وكانت كلمة واحدة منها تكفي لإعدامه.
فهززت كتفي وقلت:
- إذن فأنت تستطيع بنظريتك أن تسد كل هذه الثغرات.
- إن نظريتي هي الحقيقة، والحقيقة لا بد أن تصيب، هل تحب أن تعرف نظريتي.
- بكل تأكيد..
- لسوف أبدأ من حيث بدأت أنت، أي من أول ظهور كونو على مسرح الأحداث بعد عشرين سنة من اختفائه، لقد ثبت أن القصة التي ذكرتها مدام بيرولدي، أي مدام دوبريل، في المحكمة عن الروسيين الغامضين كاذبة ومخترعة، وكان الذي دبر هذه القصة وأحكمها هو كونو كما اعترفت بذلك مدام دوبريل في المحكمة بعد ظهور الحقيقة، والآن.. هلم نتتبع جريمة قتل المسيو رينولد خطوة خطوة..
الديك مفكرة وقلماً.. حسناً، لنبدأ بالرسالة التي تلقيتها منه، وبعد ذلك بالتغييرات التي ظهرت على حالة السيد رينولد النفسية في

الأيام السابقة على الجريمة، وقد شهد بهذه التغيرات عدد كبير من الشهود، والخطوة الثالثة هي ما قيل عن صداقته لمدام دوبريل والمبالغ الكبيرة التي ظفرت بها منه، ومن هذه الخطوات أو الحقائق الثابتة نستطيع أن نتقدم مباشرة إلى أحداث الثالث والعشرين من شهر مايو.
- حسناً..
- في ذلك اليوم تشاجر بول رينولد مع ابنه بسبب رغبة الابن في الزواج من مارتا وسافر الابن إلى باريس، وفي يوم ٢٤ مايو غير بول رينولد وصيته وترك ثروته كلها لزوجته.
وفي ٧ يونيه تشاجر بول رينولد مع صعلوك أفاق دخل حديقة الفيلا وشاهدت مارتا دوبريل المشاجرة من حديقة فيلتها.
وأرسل بول رينولد خطاباً إلى بوارو يطلب منه الحضور لحمايته من خطر وشيك، وأرسل بول رينولد برقية إلى ابنه في باريس طالباً منه الإبحار على الباخرة انزورا إلى بيونس إيرس.
وأرسل بول رينولد سائق سيارته، ماستر في إجازة طويلة.
وزارته في تلك الليلة، أي مساء يوم ٧ يونيه، سيدة.
وقد سمعته الخادمة ليونيه وهو يودعها إلى الباب الخارجي قائلاً:
«نعم، نعم.. ولكن أرجوك بحق الله أن تنصرفي الآن».
وتوقف بوارو برهة قبل أن يستطرد قائلاً:
- هذه يا هاستنج هي الحقائق التي بين أيدينا، ذكرتها لك بالترتيب، فلم يبق إلا الخطاب الغرامي الذي وجد في جيب معطفه.
- نعم، نعم.. ماذا عن ذلك الخطاب؟
- لقد اعتبرنا هذا الخطاب موجهاً إليه، لأننا عثرنا عليه في جيب معطفه، فهل تذكر يا هاستنج اني قست المعطف الذي كان معلقاً في الصالة عقب وصول جاك رينولد من شيربورج مسرعاً؟
- نعم..

ـ أتذكر أيضاً أن المعطف الذي كان على جسد القتيل المسيو بول كان أطول مما ينبغي؟

ـ نعم.. كان هذا واضحاً تماماً!

ـ وقد لفت نظري أن المعطف الذي كان يرتديه رينولد ـ الابن ـ كان أقصر مما ينبغي، فما معنى هذا يا هاستنج؟ أتذكر أن شهادة الشهود أثبتت أن رينولد الابن خرج من مكتب أبيه بعد المشاجرة وانطلق مسرعاً ليلحق بالقطار الذاهب إلى باريس؟

فقلت وقد فهمت:

ـ تعني أنه اختطف من المشجب الموضوع في الصالة معطفاً فانطلق به، وكان هذا المعطف هو معطف أبيه، تاركاً معطفه بدلاً منه!

ـ تماماً يا هاستنج. وعلى هذا يمكن القول أن الوالد ارتدى معطف ابنه وهو لا يدري عند خروجه من الفيللا في تلك الليلة، وعلى هذا يمكن القول أن الرسالة التي وجدت في ذلك المعطف، معطف الابن، لم تكن خاصة بالوالد، وإنما بالابن. أي أن المدعوة بيللا هي حبيبة سابقة لجاك وليست للوالد بول رينولد.

ـ عظيم.. وبعد ذلك؟

ـ لنعد إلى يوم الحادث.. لقد أرسل إلى بول رينولد الخطاب في نفس الوقت الذي أبرق فيه لابنه للإبحار إلى بيونس أيرس في نفس الوقت الذي منح فيه إجازة لسائق سيارته ماستر، وقد اتخذ بول رينولد هذه الخطوات كلها بعد مشاجرته العنيفة مع الصعلوك الأفاق الذي قلنا نحن أنه جورج كونو.

ـ لماذا؟

ـ لأنه أدرك بعد المشاجرة، على فرض أن الصعلوك هو جورج كونو كما ذكرنا ـ أن هناك خطراً يتهدد حياته وأن عليه أن يعمل بسرعة للنجاة من ذلك الخطر؟ ولذلك بدأ يعد الخطة اللازمة، فأرسل

الخطاب إليّ، وأرسل البرقية إلى ابنه ليبعده عن المكان، ومنح ماستر ـ سائق سيارته ـ إجازة خشية أن يكون جاسوساً عليه، وقبل أن أستطرد نحاول أن نعرف من هي السيدة التي زارته في مساء يوم الحادث..

ـ إنها مدام دوبريل كما قالت الخادمة فرانسواز.

فهز بوارو رأسه وقال:

لا يا عزيزي، لا تنس قصاصة الشيك المكتوب عليها «دوفين»، وقد ذكر المسيو ستونر، سكرتير رينولد، إن اسم بيللا دوفين ليس غريباً عليه، وعلى هذا يمكننا القول أن كاتبة الرسالة الغرامية لجاك هي بيللا دوفين، وقد أقبلت إلى فيللا جنيفيف في تلك الليلة، إما لرؤية جاك ومعرفة سبب انقطاعه عن مراسلتها، أو للتحدث مع أبيه لكي يتوسط لها عند ابنه، ويمكننا القول، في هذه الحالة الأخيرة، أن الوالد حاول استرضاءها بتقديم شيك لها، ولكنها مزقته قائلة إنها لم تحضر في طلب المال، وفي النهاية صحبها إلى باب وهو يقول لها «نعم، نعم.. ولكن انصرفي الآن بحق الله»، ومعنى هذه العبارة أنه كان يريد التخلص منها لأنه كان حريصاً على الوقت اللازم لتنفيذ خطته في تلك الليلة.

ـ وما هي هذه الخطة؟

ـ سوف أذكرها لك بالترتيب، لقد غادرت بيللا الفيللا في حوالي العاشرة والنصف بناء على أقوال الخدم، والساعة المكسورة تدل على أن تنفيذ خطة الجريمة بدأ في الثانية عشرة، وليس في الثانية بعد منتصف الليل كما أراد واضع الخطة أن يوهمنا، ثم هناك بعد ذلك شهادة الطبيب التي أثبتت أن مقتل الصعلوك الأفاق كان قد تم قبل ثمان وأربعين ساعة من العثور على الجثة، أي قبل يوم ٧ يونيه بالتي عشرة ساعة، أو على وجه التقريب بكور الصباح من يوم ٧ يونيه نفسه.

فنظرت إلى بوارو مدهوشاً فقلت:

ـ ولكن كيف أمكنك تحديد ذلك الوقت ولماذا؟

ـ لأن ذلك هو الترتيب المنطقي للأحداث؟

ـ وما هو الترتيب المنطقي للأحداث يا عزيزي؟

ـ لنبدأ بالحقيقة الأولى، هي التغييرات النفسية التي طرأت على بول رينولد قبل الأحداث ببضعة أسابيع، ويرجع سر هذا التغيير إلى لقائه بمدام دوبريل. والحقيقة الثانية، وهي مشاجرته مع ابنه بسبب رغبة الابن بالزواج من مارتا دوبريل.. وهذا أيضاً يعود إلى وجود مدام دوبريل وابنتها في هذا المكان..

والحقيقة الثالثة، أي إرساله الخطاب إليّ في صباح يوم ٧ يونيه، ونحن لا نعرف السبب الحقيقي، ولكن علينا أن نستنتجه، والآن.. من هو في رأيك يا هاستنج الذي دبر أمر هذه الجريمة؟

ـ إنه كونو..

ـ لنفترض أنه هو. والآن، لقد قال المفتش إن المرأة تتستر في الجريمة على ثلاثة أشخاص، على نفسها، أو على حبيبها، أو على ابنها، وما دمنا نعتقد ان كونو هو الذي وضع خطة الجريمة الأولى، أعني جريمة بيرولدي ـ وما دمنا نعرف أن كونو ليس جاك رينولد، فمعنى هذا أن مدام رينولد لم تتستر على نفسها، ولم تتستر على ابنها، وإنما تسترت على حبيبها الذي هو كونو مدبر الجريمة الثانية على نمط الجريمة الأولى، فهل توافقني على هذا.

ـ نعم..

ـ حسناً.. من هو إذن كونو؟

ـ الصعلوك الأفاق.

ـ ألدينا أي دليل على أن مدام رينولد كان تحب هذا الصعلوك الأفاق؟

ـ لا، ولكن..

ـ لا داعي للبحث عن نظريات لا تقوم على الحقائق، اسأل نفسك أولاً من هو الشخص الذي تحبه مدام رينولد؟ الشخص الذي سقطت مغشياً عليها من فرط الحزن عندما رأت جثته!

ـ أتعني زوجها؟

ـ نعم زوجها.. أو بمعنى آخر جورج كونو..

فهتفت قائلاً:

ـ ولكن هذا مستحيل؟ أتعني أن جورج كونو وبول رينولد هما شخص واحد؟

ـ وما وجه الاستحالة؟ ألم نعرف أن مدام دوبريل، أم مارتا دوبريل كانت تبتز أموال بول رينولد؟ أو جورج كونو!

ـ نعم..

ـ لماذا كانت تبتزه.. فهل عرفت حقيقته.

ـ هذا معقول..

ـ ولا تنس أننا لا نعرف شيئاً عن طفولة وشباب رينولد، لقد ظهر فجأة في أميركا الجنوبية منذ اثنتين وعشرين سنة زاعماً أنه من أصل كندي فرنسي..

ـ نعم، نعم يا بوارو. ولكن يبدو لي أنك غفلت عن نقطة هامة.

ـ ما هي يا هاستنج؟

ـ إذا اعتقدنا أن كونو هو الذي دبر أمر هذه الجريمة، فمعنى هذا أنه دبر أمر جريمة قتل نفسه!

ـ هذا ما كان يهدف إليه فعلاً!

- ٢١ -

وراح بوارو يفسر لي أقواله:

ـ قد يبدو الأمر عجيباً يا عزيزي أن يدبر الإنسان الجريمة لقتل نفسه ولكن العجب يتلاشى إذا عرفنا أنه لم يكن ينوي أن يموت حقاً، وإنما يبدو فقط أمام العالم أنه مات.

ولما هززت رأسي في شك، قال:

ـ كان تدبير أمر الجريمة لا يعني أن ترتكب جريمة فعلاً وإنما كان المطلوب الحصول على جثة تبدو أمام العالم، إنها جثة رينولد، الذي هو كونو، ذلك أن كونو كان هارباً من العدالة في كندا.

وهناك تحت اسم مستعار تزوج ثم رحل إلى أميركا الجنوبية حيث جمع ثروة طائلة.

ولكن حنينه إلى وطنه دفعه إلى العودة إليه، بعد انقضاء عشرين عاماً، مطمئناً إلى التغيير الكبير الذي طرأ على شكله.

وبعد أن استقر في انجلترا قرر أن يمضي مواسم الصيف في فرنسا، ولكن عدالة السماء التي لا تغفل، دفعت به لقضاء موسم هذا الصيف في مصيف ميرلينفيل الذي أقامت فيه مدام دوبريل، أو مدام بيرولدي، وكان طبيعياً أن تكتشف مدام دوبريل أمره من أول نظرة.

وأدركت، بعد أن عرفت ثراءه الطائل، أنها عثرت على منجم ذهب يمكنها استغلاله إلى أقصى حد.

ولم يسع رينولد إلا إن يستسلم لها خشية افتضاح أمره، وراح يقدم إليها كل ما تطلب من أموال.

وصمت بوارو برهة..

ثم استطرد قائلاً:

ـ ثم تدخلت الأقدار. فأحب جاك رينولد الفتاة الحسناء مارتا دوبريل، وقرر الزواج منها، وثار أبوه طبعاً حين سمع هذا القرار من ابنه..

وقرر الوالد بدوره بكل حزم ألا يسمح بإتمام ذلك الزواج.

ولم يكن الابن يعرف شيئاً عن ماضي أبيه، ولكن مدام رينولد كانت تعرف كل شيء عن زوجها.

وهي سيدة ذات إرادة حديدية، وشديدة الحب لزوجها، ومن ثم أخذ الاثنان يتبادلان الرأي في أمر جاك ـ ابنهما ـ ورغبته في الزواج من ابنة مدام دوبريل.

وانتهيا إلى قرار، وهو أن نجاة رينولد من براثن تلك المرأة لن يتم إلا إذا بدا أمام العالم ميتاً..

يجب أن يبدو ميتاً، ثم يهرب إلى قارة أخرى ليبدأ حياته مرة أخرى من جديد تحت اسم آخر..

وكان على مدام رينولد، بعد أن تقوم بدور الأرملة الحزينة بضعة أسابيع، أن تلحق بزوجها في موطنه الجديد.

وتحقيقاً لهذا الهدف، كان من الضروري أن تؤول كل ثروة رينولد إلى زوجته بعد موته، المزيف. ولهذا غير وصيته تاركاً كل ثروته لها.

وأنا لا أعرف كيف كانا سيحصلان في أول الأمر على جثة تبدو أمام الناس أنها جثة بول رينولد.

ربما كانا سيحصلان على هيكل عظمي من ذلك النوع الذي يحصل عليه طلبة الطب..

وكانا يعتمدان على أن يزيلا معالم الجثة أو الهيكل بالنار أو يتاكلها تحت الأرض حتى لا يعرف أحد حقيقتها، وإنما يظن الجميع أنها بقايا جثة بول رينولد المختفي.

ولكن الأقدار ساقت إليهما ذلك الصعلوك الأفاق الذي دخل حديقة رينولد فتشاجر رينولد معه وأراد أن يطرده، ولكن الصعلوك كان يعاني نوبات صرع، فسقط أثناء المشاجرة وقضى نحبه، فاستدعى رينولد زوجته فجر الاثنان الجثة إلى كشك الأدوات الزراعية، فأدركا أن الحظ قد ساق إليهما الجثة المطلوبة، لا سيما وقد كان ذلك الصعلوك الأفاق يشبه رينولد في الطول والعرض والسن، والطابع الفرنسي.

ومرة ثانية صمت بوارو قبل أن يستطرد قائلاً:

ـ فأنا أتخيل أنهما جلسا على المقعد الحجري القريب من الكشك وراحا يتبادلان الحديث فيما يجب أن يفعلا بعد ذلك، ووضعا الخطة بسرعة، فاتفقا على أن تكون السيدة رينولد هي الوحيدة التي تتعرف على «جثة» الزوج، ولهذا قررا أن يبعدا عن المكان جاك رينولد، وسائق السيارة السيد ماستر، ولم يكن هناك احتمال في أن تقترب إحدى الخادمات من «الجثة».

وهكذا أرسل رينولد برقية لإرسال جاك إلى بيونس إيرس، ومنح السائق إجازة طويلة، وأرسل إليّ الخطاب الذي يطلب فيه حمايتي له، وكان يأمل أن يكون لهذا الخطاب أثره على مجرى التحقيق، وهذا ما حدث فعلاً.

وبعد أن وضعا الجثة في ملابس فاخرة من ملابس رينولد، ألقيا بملابس الصعلوك بجوار باب الكشك من الداخل، وهي الملابس التي ظنها جيرود أنها خاصة بالبستاني، ثم طعن رينولد الجثة عند القلب بالخنجر حتى يظن الجميع أن هناك جريمة قتل.

ثم قرر رينولد في تلك الليلة أن يقيد يدي وقدمي زوجته ـ بقيد قوي شديد هذه المرة ـ ويضع في فمها كمامة، ثم يمضي ويحفر قبراً في أرض ملعب الجولف، حيث كان يعتقد أن إتمام الملعب سيكشف عن الجثة بعد أن تكون قد تآكلت وزالت معالم الوجه.

وكان من الضروري في رأيه، أن تنكشف الجثة حتى تتأكد مدام دوبريل أن «جورج كونو» أو بول رينولد» مات حقاً.

وبعد ذلك كان على رينولد أن يرتدي ملابس الصعلوك الرثة ويمضي إلى المحطة ويستقل منها القطار إلى باريس، ومنها إلى المكان الذي تقرر أن يختفي فيه ويبدأ منه مرحلة جديدة من حياته.

وكان المفروض ـ حسب الخطة ـ أن يستقل قطار الساعة الثانية عشرة ولهذا حطم الساعة بعد أن قدمها ساعتين لكي يوهم المحققين أن الجريمة وقعت بعد قيام القطار بساعتين.

وذلك حتى يبعد أية شبهة حول ذلك «الصعلوك» الغريب الذي غادر المصيف في قطار الساعة الثانية عشرة.

وبعد أن تم كل شيء ولم يبق إلا تنفيذ المرحلة الأخيرة من الخطة، فوجىء رينولد بزيارة الفتاة بيلا دوفين، وكان يرى أن كل دقيقة قد تؤدي إلى إفساد الخطة كلها.

وهكذا تخلص من الفتاة على نحو ما ثم مضى إلى تنفيذ خطته، لقد ترك الباب الخارجي مفتوحاً ليوهم المحققين بأن المجرمين دخلوا أو خرجوا منه ثم قيد وكمم زوجته مدام رينولد، وقد حرص على التشديد في القيد حتى يتلافى الخطأ في الجريمة السابقة.

وأكد عليها أن تذكر للمحققين القصة الخيالية السابقة، أي قصة «السر» والرجلين الغامضين المقنعين.

وهذا هو الخطأ الذي يرتكبه المجرمون عندما يكررون الخطط الناجحة في جرائمهم، وكانت الليلة باردة، فارتدى المعطف فوق ملابسه المنزلية هادفاً إلى تركه مع الجثة في القبر حتى يزيد في إيهام المحققين بأن الجثة هي جثته، ثم مضى إلى حافة ملعب الجولف وراح يحفر، ثم..

ـ ثم ماذا؟

ـ ثم امتدت إليه يد العدالة التي طال فراره منها، امتدت إليه يد

من الخلف بطعنة خنجر. والآن لعلك فهمت يا هاستنج ما أعنيه حين تحدثت عن جريمتين: الجريمة الأولى التي كتب إلينا بشأن حمايته منها المسيو رينولد قد حلت، ولكن تقع وراءها مشكلة معقدة.

وحل هذه المشكلة يحتاج إلى مجهود ضخم، ذلك أن المجرم الحقيقي عرف، بذكائه الحاد، كيف يستغل خطة رينولد لمصلحته، وهذا جعل من العسير حل هذه المشكلة الغامضة.

فقلت:

ـ إنك مدهش يا بوارو، مدهش.. ما كان في مقدور أحد اطلاقاً أن ينفذ إلى كل هذه الأسرار الغامضة.

وأشرق وجه بوارو سروراً ثم قال:

ـ إن للمسكين جيرود العذر إذا هو عجز عن كشف غوامض هذه الجريمة، لأن عمليات التضليل فيها كثيرة، ولا سيما تلك الشعرة السوداء التي وجدت حول مقبض الخنجر!

فقلت ببطء:

ـ الحقيقة يا بوارو إني لا أعرف بعد لمن كانت هذه الشعرة!

ـ إنها شعرة من رأس مدام رينولد، إن معظم شعرها أبيض، ولكن شعرها كما رأيت بنفسك لا يخلو من شعرات سوداء طويلة، أما جيرود، فهو لا يزال يؤمن في قرارة نفسه، واثباتاً لنظريته، أن هذه الشعرة من رأس جاك رينولد، ولكن مدام رينولد، حين تفيق من غيبوبتها، سوف تذكر لنا الحقيقة كاملة، لأنها لن تقف ساكتة وهي ترى سيف الاتهام معلقاً على رأس ابنها، إنها لم تكن تتصور قط أن لابنها أية علاقة بالجريمة.

كانت واثقة بأنه كان بعيداً في شيربورج عند وقوع الجريمة، ولذا قالت له عندما رأته يعود فجأة بعد وقوع الجريمة: «آه.. ولكن هذا لا يهم الآن!» ولم يلاحظ أحد دلالة هذه الكلمات.

لقد عانت هذه السيدة صدمة رهيبة عندما ذهبت معنا لتتعرف على الجثة في الكوخ الواقع وراء الفيللا.

كانت حتى ذلك الوقت متأكدة تماماً بأنها سترى جثة الصعلوك الأفاق حسب الخطة التي وضعها زوجها، ولكن لشد ما كانت الصدمة عليها حين رأت أمامها جثة زوجها نفسه، فلا عجب إن سقطت مغشياً عليها، ولكنها قررت، رغم حزنها ويأسها، أن تلعب دورها حتى النهاية إكراماً لابنها.

كانت مصرة كل الاصرار ألا يعرف الابن أن أباه هو جورج كونو الهارب من العدالة.

ولهذا السبب اعترفت أمام الجميع، تلميحاً طبعاً، أن مدام دوبريل عشيقة لزوجها، لأنها لو قالت غير هذا لأثارت التساؤل عن أسباب حصول مدام دوبريل على كل هذه الأموال من زوجها.

وصمت بوارو فجأة.

وقلت له:

ـ وما شأن ماسورة الرصاص التي وجدت بجوار حفرة القبر يا بوارو.

ألا ترى؟ لقد وضعت هناك لكي يشوه بها رينولد وجه جثة الرجل الصعلوك الأفاق حتى يختلط أمرها على المحققين، وكان وجود هذه الماسورة أول الخيط الذي دلني على الاتجاه الذي ينبغي أن أسير فيه، بينما كان ذلك الأحمق جيرود يشغل نفسه بالبحث عن أعواد الثقاب وأعقاب السجائر. ألم أقل لك إن دليلاً طوله ثلاثة أقدام لا يقل أهمية عن أدق الدلائل!

وأردف بوارو قائلاً:

ـ والآن.. من الذي قتل بول رينولد! إنه شخص كان قريباً من الفيللا في حوالي الساعة الثانية عشرة ليلاً، شخص يستفيد كثيراً من موت رينولد.. إن القرائن كلها تشير إلى أن ذلك الشخص هو جاك

رينولد . .

ـ وما شأن الخنجر؟

ـ آه . . إن هناك أكثر من خنجر واحد، ولكن ذلك لا يهم، المهم أن أقوى دليل ضد جاك هو الوراثة، فإذا كان الوالد قاتلاً، فلماذا لا يكون الابن كذلك؟ ولكن ذلك كله لا يهم أيضاً.

ـ وما الذي يهم الآن . .

فنظر بوارو في ساعة جيبه وقال:

ـ متى تبحر السفينة من ميناء كاليه بعد ظهر اليوم؟

ـ حوالي الساعة الخامسة.

ـ حسناً . . يمكننا أن نلحق بها.

ـ هل سنسافر إلى انجلترا.

ـ نعم يا صديقي.

ـ لماذا؟

ـ لأبحث عن . . عن شاهد.

ـ من يكون؟

فابتسم بوارو قائلاً:

ـ بيللا دوفين . .

ـ ولكن كيف تصل إليها، وماذا تعرف عنها؟

ـ إني لا أعلم عنها شيئاً الآن. ولكن في مقدوري أن أستنتج الشيء الكثير. ولنفرض أولاً أن اسمها الحقيقي هو بيللا دوفين، وما دام الاسم كان مألوفاً للسكرتير المسيو ستونر، فمن المحتمل أنها تعمل على المسرح، وإن جاك شاب في العشرين من عمره، واسع الثراء، والاحتمال كبير في أن يتعرف على بنات الفن، سواء في المسرح أو السينما، فهذا يتفق مع محاولة السيد رينولد استرضاءها بالمال، وأنا أعتقد أني سأعثر عليها بفضل هذه!

ثم تناول من جيبه صورة فوتوغرافية، وهي نفس الصورة التي عثر عليها في درج بغرفة نوم الشاب رينولد، وكان مكتوباً عليها العبارة التالية «مع حب بيللا».

ولكن ذلك كله لم يكن السبب فيما اعتراني من دهشة وجزع، ذلك أن الصورة كانت تشبه صديقتي الشابة الحسناء . . سندريللا.

- ٢٢ -

وأعدت الصورة إلى بوارو وأنا أبذل جهدي حتى لا يرى اضطرابي.

ونهض قائلاً:

إن الوقت قد حان للسفر إلى لندن.

وفي خلال الطريق إلى لندن، لم أهدأ لحظة واحدة عن التفكير في سندريللا ومدى علاقتها بهذه الأحداث.

وقطع بوارو أفكاري بقوله:

- هل تذكر صاحبنا آرونز، متعهد شؤون الفنانين، سيساعدنا في العثور على ما نريد.

واستغرقنا بعض الوقت في الوصول إلى مكان آرونز الذي رحب بنا بحماس شديد، ورد على بوارو قائلاً:

- أعتقد أني أعرف كل من يعمل في الحقل الفني..

- هل تعرف شابة حسناء اسمها بيللا دوفين!

- بيللا دوفين؟ إن هذا الاسم ليس غريباً على أذني.. ألديك صورة لها؟

ولما أطلعه بوارو على الصورة الفوتوغرافية..

هتف الرجل قائلاً:

- آه.. إنها إحدى الثنائي المعروف باسم «ثنائي دولسيبيللا».

- ثنائي دولسيبيللا؟

- نعم.. أختان توأمتان، تقومان بالرقص والغناء والألعاب البهلوانية الخفيفة. وهما الآن، في رأيي، تقومان بجولة في الأقاليم، وقد كانتا في باريس منذ ثلاثة أسابيع.

- ألا تعرف أين هما الآن على وجه التحديد؟

- بكل سهولة، عد إلى مسكنك وسأرسل إليك بمكانهما غداً صباحاً.

- وكان عند وعده، ففي حوالي الحادية عشرة من صباح اليوم التالي أرسل إلينا هذه المعلومات في رسالة قصيرة «إن الثنائي دولسيبيللا يعمل الآن في مسرح بالاس بضاحية كافنتري، أتمنى لك حظاً سعيداً».

ومضينا في المساء إلى ذلك المسرح، وأخذنا نتتبع - في ملل - فقرات البرنامج الاستعراضي، حتى إذا جاء دور ثنائي دولسيبيللا، خفق قلبي بعنف حينما رأيت صاحبتي سندريللا بشعرها الأسود الفاحم تتقدم مع أختها التوأم ذات الشعر الذهبي، وكانت الاثنتان متشابهتين في كل شيء فيما عدا لون الشعر، وقد أثارت ضجة من الاعجاب الشديد ببراعتهما في الرقص والألعاب البهلوانية المضحكة.

ولم أستطع أن أحتمل الموقف، فقلت لبوارو:

- إن الجو خانق، سأنصرف.

- انصرف إذا شئت يا عزيزي، أما أنا فإني أستمتع بالبرنامج.

وكان فندقنا يقع على مسافة يسيرة من المسرح.

ولما وصلت إلى قاعة الجلوس فيه، طلبت شراباً قوياً، وفجأة رأيت سندريللا تسرع نحوي وتقول بأنفاس لاهثة:

- لقد رأيتك في الصالة بالمسرح، أنت وصاحبك، ولما انصرفت أسرعت وراءك لأعلم مكانك. لماذا أنت هنا؟ وماذا تريد أنت

وصاحبك، أليس هو رجل المباحث!

ونظرت إليها وهي واقفة والرداء الواسع يخفي ملابسها المسرحية، وكان وجهها شاحباً وصوتها مفعماً بنبرات الخوف، وأدركت فجأة لماذا جاء بوارو إلى لندن وماذا يريد منها وكذلك أدركت في تلك اللحظة أني أحبها.

وعادت تقول بصوت هامس خائف:

- هل جاء يبحث عني؟

ولما لم أجب، تهالكت على مقعد قريب وانفجرت باكية، فأسرعت إليها وأخذتها بين ذراعي وأخذت أمسح دموعها بقبلاتي وأنا أهمس:

- لا تبكي يا حبيبتي، لا تبكي أرجوك.. إنك في أمان، سأحميك من كل خطر يتهددك، إني أعلم كل شيء..

- لا.. لا.. إنك لا تعلم!

- بل أعلم يا حبيبتي، أنت التي أخذت الخنجر! أليس كذلك؟

- نعم.

- ولهذا طلبت أن أمضي بك لتشاهدي كل شيء عن الحادث، وهناك في الكوخ تظاهرت بالاغماء لتأخذي الخنجر من انائه الزجاجي.

- نعم.

- لماذا أخذت الخنجر؟

- كنت أخشى أن تكون عليه بصمات أصابع.

- ولكن ألا تذكرين انك كنت مرتدية قفازاً عند ارتكاب الجريمة!

فهزت رأسها في حيرة وقالت:

- - لا طبعاً..

- فحملقت في وجهي بدهشة وشك..

ثم تمتمت:

- لماذا؟

- ووجدت نفسي أقول لها ببساطة:

- لأني أحبك يا سندريللا..

وأحنت رأسها كأنها تشعر بالخجل.

ثم تمتمت بصوت خافت:

- ولكنك لا.. لا.. هل ستبقى على حبي لو.. لو عرفت؟

ثم رفعت رأسها وقالت فجأة:

- ماذا تعلم عن علاقتي بذلك الحادث؟

فقلت بارتباك:

- أعلم إنك ذهبت لزيارة المستر رينولد في مساء اليوم السابع من هذا الشهر، وقد عرض عليك شيكاً بمبلغ كبير، ولكنك مزقته بكبرياء، ثم انصرفت من الفيللا..

ولما توقفت. قالت:

-استمر وماذا بعد انصرافي؟

- إنني لا أعرف هل كنت تعلمين أن جاك سيعود إلى ميرلينفيل في تلك الليلة، أم إنك قررت الانتظار على أمل عودته، ورؤيته، ولعلك كنت تشعرين بالتعاسة، فأخذت تتمشين على غير هدى، وأياً كان الأمر فقد وصلت إلى حافة ملعب الجولف في حوالي الثانية عشرة حيث رأيت شخصاً.

وفجأة وضحت الصورة أمامي.

لقد كان رينولد الأب مرتدياً معطف ابنه في تلك الليلة وهو لا يدري ولما كان الأب والابن متشابهين في المنظر من الخلف فقد شك أن الفتاة ظنت ذلك الشخص جاك رينولد.

ومن ثم قلت مستطرداً:

- وظننت أن ذلك الشخص هو جاك، وثار غضبك واشتعلت نيران غيرتك وقررت في لحظة أن تنفذي تهديداتك له في الخطاب،

فانقضضت عليه وطعنته من الخلف بالخنجر، رغم أنك لم تكوني تريدين قتله فعلاً، إلا إنك قتلته يا سندريللا.

وأخفت الفتاة وجهها بيديها وهي تقول:

- إنك على حق.. على حق تماماً..

واستدارت نحوي فجأة وقالت بحدة:

- وأنت تحبني؟ كيف تحبني وأنت تعلم عني هذا كله!

فقلت في يأس:

- إن الإنسان حين يحب لا يفكر لماذا أحب، إن الحب قضاء وقدر، لا حيلة للإنسان فيه، وقد أحببتك منذ رأيتك أول مرة.

وفجأة أخفت وجهها بيديها مرة أخرى وهتفت باكية:

- إني لا أعلم ماذا أفعل، أرجوك أن ترعاني، أخبرني ماذا يجب أن أفعل!

- لا تخافي يا بيللا،، لا تجزعي، إني أحبك، وسأساعدك على اجتياز هذه المحنة، إني لا أريد منك شيئاً، يمكنك أن تستمري في حب جاك إذا أردت، ولكن حبي!

- أتظن أني احب جاك؟

ثم ألقت بذراعيها حول عنقي وضغطت بخدها على خدي وأردفت قائلة:

- لا لا.. إني أحبك أنت.. أنت فقط.. أنت حبي الوحيد.

واحسست في تلك اللحظة كأني انتقلت فجأة إلى عالم وردي جميل كل ما فيه حب وغناء وجمال.

ولكن صاحبي بوارو، غفر الله له، ايقظني من عالمي هذا بوقوفه أمام الباب.

ومن ثم هتفت ببيللا قائلاً:

- اسرعي بالانصراف. اهربي.. لسوف أمسك به حتى لا يلحق بك:

واندفعت إلى بوارو وأمسكت بذراعيه بقبضتين من حديد ريثما انفلتت هاربة..

وقال بوارو باسماً:

- ما هذه الحماقة يا عزيزي هاستنج، هل نجلس ونتحدث بهدوء.

وبعد أن جلسنا قال:

- إذن فأنت تعرف هذه الفتاة؟ إنك لم تخبرني أنها هي صاحبة الصورة الفوتوغرافية؟

- هذا من شأني.

- حسناً.. فهل تنوي منذ الآن أن تعمل معي أو تعمل ضدي؟

وفكرت برهة..

ثم نظرت إليه في ارتياب لا سيما حين رأيته متمالكاً اعصابه إلى حد عجيب.

وأخيراً قلت:

- إني يا عزيزي بوارو سأعمل حسب ما يوجهني إليه قلبي.

- وإذا تعارض ذلك مع واجبك.

- إن واجبي كله هو اخلاصي وحبي للفتاة، وإذا قررت يا بوارو أن تقدمها للمحكمة فسوف أشهد بأنها كانت معي ليلة الحادث، وأننا وصلنا معاً إلى لندن.

- فهل تقسم على صحة الشهادة في المحكمة.

- بكل تأكيد..

فهز بوارو رأسه وقال:

- إذن ليحيا الحب يا عزيزي هاستنج.

- ٢٣ -

لم أكن أتوقع أن أفيق من حماس ونشوة الحب في اليوم التالي..

حقاً إن حبي لبيللا لم يهدأ أو يخف، ولكن شعوري بالواجب نحو العدالة، جعلني أدرك مدى اندفاعي في حديثي مع بوارو في الليلة السابقة..

وهكذا التقينا على مائدة الافطار وكان شيئاً بيننا لم يحدث، وبعد الافطار قلت له إني سأخرج لأتمشى قليلاً.

ولكنه ابتسم وقال:

- إذا كنت تريد الحصول على المزيد من المعلومات، فلا داعي لأن تتعب نفسك، يمكنني أن أزودك بكل ما تريد، إن شانتي دولسيللا قد ألغى عقده مع مسرح بالاس وذهبت التوأمتان إلى مكان لا يعرفه أحد.

- أحقاً هذا يا بوارو؟

- نعم.. لقد قمت ببعض التحريات هذا الصباح، وماذا كنت تنتظر غير هذا؟

ورمقني بنظرة فاحصة..

ثم قال مردفاً:

- يبدو أنك مرتبك حائر يا هاستنج! ولذلك تتساءل لماذا لم أسرع لاقتفاء آثارهما؟

- نعم لماذا؟

- لأني لا أريد أن أضيع وقتي في البحث عن إبرة داخل مخزن تبن، إن في مقدوري أن أعثر عليهما عند اللزوم.

ونظرت إليه في حيرة..

ثم قلت:

- أعتقد أنه لم يعد من حقي أن أسألك ماذا تنوي أن تفعل الآن؟

- لا لا.. يمكنك أن تسأل ما تشاء، إننا سنعود إلى فرنسا فوراً.

- أتعني أنا وأنت؟

- نعم، على الأقل لكي أبقى أمام عينيك دائماً؟

ثم ابتسم وأردف قائلاً:

- وحتى أجنبك مشقة تعقبي وأنت بلحية مستعارة وما إلى ذلك؟

ثم أردف مرة أخرى قائلاً:

- والآن.. دعنا من هذا كله، إن مهمتي الآن هي إنقاذ جاك رينولد!

جاك رينولد؟ لقد كدت أنسى أن هناك شاباً بريئاً مهدداً بخطر الحكم عليه بالإعدام؟

لقد أنساني حبي لسندريللا «بيللا» واجبي لإنقاذ شاب بريء من الحكم بالموت؟ كيف خطر ببالي أن أفكر في انقاذ بيللا بشهادة كاذبة، وبذلك أسوق شاباً بريئاً إلى المقصلة؟

ولكن لا.. إن في مقدور بوارو أن يثبت براءته دون إدانة بيللا، هذا ما يجب أن يفعله، وإلا فليس هو المخبر الجنائي الذي عهدته.

والفتاة نفسها؟ ماذا ستفعل حين تعلم أن حبيبها السابق - جاك رينولد - قد قبض عليه بتهمة قتل والده؟

هل ستستمر في الهرب والاختفاء، تاركة ذلك الشاب الذي أحبته ليكفر عن جريمة ارتكبتها هي؟

إن في مقدورها أن تتقدم إلى العدالة فتطالب بالرأفة على أساس

أن الغيرة العمياء هي التي دفعتها إلى ارتكاب تلك الجريمة، وأنها لم تكن تعرف أن الشخص الذي كان واقفاً بظهره إليها هو بول رينولد الأب، وليس رينولد الابن.

أي إن الجريمة ارتكبت خطأ وفي لحظة انفعال، وهذا كله سيخفف عنها الحكم إلى حد كبير.

ولكن.. لا بد لبوارو أن يجد مخرجاً للجميع من هذا المازق.. لا بد أن ينقذ جاك دون أن يضطر إلى تقديم بيللا للعدالة.

فهل يمكنه هذا؟

هذه هي المشكلة؟

* * *

وعدنا إلى فرنسا في قطار البحر الليلي، وفي صباح اليوم التالي مضينا إلى مدينة سانت أومار التي أودع جاك في سجنها.

ولم يضع بوارو وقتاً في زيارته للمحقق المسيو هوتيت، وذهبت معه.

وبعد الإجراءات المعتادة، دخلنا غرفة المحقق الذي حيانا قائلاً في ترحيب:

- أني سعيد بعودتك إلى فرنسا يا مسيو بوارو، أرجو أن تكون قد وفقت إلى شيء في رحلتك إلى انجلترا.

ولما هز بوارو كتفيه، قال المحقق:

- لا بد لنا إذن من الاعتراف ببراعة ذلك الذئب جيرود، إنه إنسان خشن غليظ القلب لا يعرف المجاملة، ولكنه بارع حقاً.

- أتعتقد هذا يا مسيو هوتيت!

- هذا هو رأيي الذي أؤمن به مضطراً..

- سوف ترى.. والآن بماذا دافع جاك عن نفسه!

فقطب المحقق جبينه وقال:

- إنه عاجز عن الدفاع عن نفسه بشيء معقول، كل ما يفعله أنه

ينكر كل شيء، وإذا عجز عن الانكار التزم الصمت التام، وعلى كل سأعيد استجوابه غداً ويمكنكما حضور هذه الجلسة.

وقبلنا الدعوة شاكرين.

وتنهد المحقق وقال:

- إنها قضية محزنة، إني قلق كثيراً على الأم.. مدام رينولد.

- ترى كيف حالها الآن..

- إنها لم تتنبه بعد من اغمائها، وذلك من حسن حظها في الوقت الحاضر، وقد أجمع الأطباء على أنها اجتازت مرحلة الخطر، ولكنها ستحتاج إلى راحة تامة وهدوء في الأعصاب. آه.. لقد حولت إليّ رسالة وردت باسمك يا مسيو بوارو.. ها هي..

ثم تناول من درج مكتبه رسالة قدمها إلى بوارو قائلاً:

- لقد أرسلت أولاً باسمي لكي أسلمها إليك..

ونظر بوارو إلى الخط المكتوب به مظروف الرسالة، ثم وضعها في جيبه دون أن يفضها.

ثم قال للمحقق:

- إلى اللقاء غداً يا سيدي.. وشكراً جزيلاً.

وما كدنا نبتعد عن دار المحكمة حتى التقينا بالمستر ستونر، سكرتير بول رينولد، وبعد أن تبادلنا معه التحية، اقترح أن يسير معنا إلى الفندق.

وقال بوارو:

- ماذا تفعل هنا يا مسيو ستونر..

- على الإنسان أن يقف بجانب اصدقائه لا سيما إن كانوا في محنة ظالمة.

- إذن فأنت لا تعتقد أن جاك رينولد هو القاتل.

- طبعاً لا.. إني أعرفه حسناً، فرغم بعض تصرفاته الحمقاء التي اغضبتني فإني أعتقد أنه بريء تماماً من قتل أبيه.

وشعرت بالمودة الدافقة نحو ذلك السكرتير الوفي الذي استطرد قائلاً:

ـ وأنا أعتقد أن كثيراً من الناس يؤمنون ببراءته، ولهذا أعتقد أن القضاة سيطلقون سراحه قريباً، ولكن ما رأيك أنت يا مسيو بوارو.

ـ رأيي أن المسيو رينولد يواجه موقفاً عصيباً..

ـ أتعتقد أنه مذنب!

ـ لا.. ولكنني أعتقد أن من العسير عليه أن يثبت براءته.

ـ ولكن الجميع يعلمون أن الخنجر لم يكن مع جاك في تلك الليلة، لقد شهدت والدته بأن الخنجر كان على المنضدة بقرب السرير.

فقال ستونر:

ـ هذا صحيح، وعندما تفيق من غشيتها ستوضح لنا الكثير من الأمور الغامضة.

ـ مؤكد.. مؤكد..

وبعد أن انصرف، قلت لبوارو ونحن ندخل الفندق:

ـ إن موضوع الخنجر مهم كثيراً يا بوارو، إني لم استطع ان أصرح بأكثر من هذا أمام ستونر.

ـ لقد أحسنت، فالأفضل أن تحتفظ بمعلوماتنا بقدر الإمكان، أما عن الخنجر فإن هذا الموضوع، أعني موضوع الخنجر، فليس في صالح رينولد، ولعلك تذكر أنني غبت عنك نحو ساعة هذا الصباح قبل مغادرتنا لندن.

ـ نعم.

ـ لقد كنت مشغولاً في تلك الساعة بالبحث عن الشركة التي عهد إليها رينولد بصنع الخناجر التي كان يهديها باعتبارها فتاحات ورق، وقد عرفت مكان هذه الشركة، وعلمت أنه لم يعهد إليها بصنع خنجرين.. وإنما بثلاثة.

ـ أهكذا؟

ـ وبعد أن أهدى خنجراً لأمه، أهدى الثاني لبيلا دوفين، ولا شك أنه احتفظ بالثالث لنفسه، وهكذا نرى موضوع الخنجر ليس في صالح جاك على الاطلاق.

فهتفت قائلا بحماس:

ولكنك ستنقذه يا بوارو.. أليس كذلك؟

ـ كيف انقذه وقد جعلت الأمر عسيراً أمامي بموقفك من بيللا دوفين يا هاستنج.

ـ ولكن لا بد أن هناك وسيلة ما لإنقاذه!

ـ إنك تطلب مني القيام بمعجزة إذن.. حسناً، لنرى ماذا تحوي هذه الرسالة.

وبعد أن قرأ الرسالة التي حولها إليه المحقق.

قدمها إليّ قائلاً:

ـ يبدو أن هناك نساء أخريات في هذا العالم يعانين الكثير.

وكانت الرسالة من مارثا دوبريل، وقد جاء فيها:

«عزيزي السيد بوارو.. أرجوك أن تسرع للوقوف بجانبنا إني لا أجد أحداً الجأ إليه غيرك، يجب إنقاذ جاك.. إنني أتوسل إليك وأنا راكعة أمامك لإنقاذه..».

فأعدت الرسالة إليه قائلاً:

ـ هل ستذهب.

ـ فوراً.. لسوف نستأجر سيارة.

وبعد نصف ساعة وصلنا إلى فيللا مرغريت..

واستقبلتنا مارثا دوبريل على الباب، وتعلقت بيدي بوارو وهي تقول متوسلة:

ـ آه.. لقد أتيت، لا أدري كيف أشكرك، كنت في حالة يأس ولا أدري ماذا أفعل، إنهم يرفضون أن أراه في السجن، إني أتمزق من

فرط الحزن..

ثم أردفت قائلة:

- هل حقاً ما يقال بأنه لا ينكر ارتكابه للجريمة؟ إن هذا مستحيل، إنه مجنون، إني لا أصدق هذا أبداً، أبداً.

فقال بوارو بهدوء:

- ولا أنا يا آنستي.

- ولكن لماذا يمتنع عن الكلام، إني لا أفهم هذا الموقف!

- ربما لأنه يحاول التستر على شخص عزيز عليه؟

- التستر على شخص عزيز عليه؟ أتعني والدته يا مسيو بوارو. آه، لقد كنت ارتاب فيها منذ اللحظة الأولى، إنها هي التي سترث الثروة كلها. وما أسهل أن تمثل دور الأرملة الحزينة أمام الناس، ولا شك أن المسيو ستونر يساعدها في القيام بهذا الدور، إن بينهما علاقة وطيدة، نعم.. هي وذلك المسيو ستونر.. سكرتير زوجها، حقاً إنها أكبر منه سناً ولكن الرجال لا يبالون في مثل هذه الأحوال.

فقلت:

- لقد كان ستونر في انجلترا عند وقوع الحادث يا آنسة.

- هذا ما يدعيه، ولكن هل هذه هي الحقيقة!

- إننا إذا عملنا معاً يا آنسة فسوف نصل إلى حل لإنقاذ جاك، هل تسمحين لي بتوجيه بعض الأسئلة إليك!

- نعم يا سيدي.

- هل تعرفين اسم والدتك الحقيقي..

ونظرت مارتا إليه برهة..

ثم أحنت رأسها وانفجرت باكية..

وقال بوارو وهو يربت كتفها برفق:

- هدئي من روعك يا آنسة، لقد فهمت أنك تعرفين، ولكن هل تعرفين أيضاً حقيقة المسيو رينولد!

فرفعت وجهها في تساؤل وقالت بدهشة:

- حقيقة المسيو رينولد!

- آه.. أرى أنك لا تعرفين، والآن اسمعي جيداً.

وراح، خطوة خطوة، يشرح لها تفاصيل القضية، كما فعل معي قبل أن نرحل إلى لندن بحثاً عن بيللا دوفين.

وظلت مارتا تنصت في ذهول..

ولما فرغ، تنهدت في عمق وقالت:

- إنك رائع رائع.. أروع ضابط مباحث في الدنيا.

ووثبت من مقعدها، حيث كنا في غرفة الاستقبال، وركعت أمام بوارو وهي تقول:

- أنقذه.. التمس منك أن تنقذه يا مسيو بوارو.. أرجوك، أتوسل إليك.. إنه بريء، بريء.

- ٢٤ -

وحضرنا في اليوم التالي جلسة استجواب جاك رينولد الذي بدا شاحب الوجه زائغ النظرات شارد الذهن كشخص لم ينم منذ ليال كثيرة.

وقال له المحقق.

- جاك رينولد، هل تنكر أنك كنت في ميرلينفيل ليلة وقوع الجريمة!

- قلت لكم إني كنت في شيربورج في تلك الليلة!

وقال المحقق لأحد رجال الشرطة:

- استدع الشاهد.

وكان الشاهد أحد الحمالين في محطة ميرلينفيل وقد قرر أنه رأى جاك وهو يهبط من القطار الذي وصل إلى المحطة في الساعة الحادية عشرة والنصف.

وأقبل شاهد آخر من موظفي المحطة، وأيد شهادة الأول، ثم نظر المحقق إلى جاك وسأله:

- ما رأيك فيما سمعت الآن.

- لا رأي لي.

- رينولد، هل تتعرف على هذا!

ثم تناول من فوق المنضدة خنجراً مصنوعاً من معدن طائرة.

وهنا صاح المسيو كروسير محامي الشاب قائلاً:

- إني أطلب التحدث مع موكلي قبل أن يجيب عن هذا السؤال

ولكن الشاب لم يحفل بمحاميه، فرد قائلاً:

- نعم.. أعرف، إنه هدية قدمتها لأمي.

- هل هناك، بقدر ما تعرف، خنجر مماثل له تماماً!

- لا.. إنني أنا الذي وضعت تصميم هذا الخنجر.

ودهشنا جميعاً.

وأدركت أن جاك يحاول أن يتستر على الفتاة التي أحبها يوماً، يتستر على بيللا دوفين معرضاً نفسه للموت حماية لها.

وسأل المحقق:

- لقد قالت لنا مدام رينولد والدتك أن هذا الخنجر أخذ من فوق منضدة غرفة نومها في ليلة وقوع الحادث، ولكن مدام رينولد أم، ولهذا قد يدهشك أن تعلم أن مدام رينولد أخطأت في أقوالها، ذلك لأن لدينا من الأدلة ما يثبت أن هذا الخنجر كان معك ليلة الحادث.. فهل تنكر هذا!

- ربما، إني لا أنكر شيئاً.

وحاول المحامي أن يعتذر عن جاك بأنه يعاني من انهيار عصبي يجعله يتفوه بعبارات خطيرة ولكن المحقق أسكته غاضباً ونظر إلى الشاب قائلاً:

- هل تدرك يا جاك رينولد أن إجابتك هذه سوف تضطرني إلى تقديمك للمحاكمة؟

فقال الشاب بلهجة تأكيد:

- أقسم لك يا مسيو هوتيت أني لم أقتل أبي.

فهز المحقق كتفيه، فقال:

- طبعاً.. طبعاً، إن جميع المتهمين يقسمون بأنهم لم يرتكبوا شيئاً، ولكنك ادنت نفسك في هذه القضية بنفسك، بأقوالك،

وبأكاذيبك، وبعدم قدرتك على تقديم دليل واحد يثبت بعدك عن مسرح الجريمة في ليلة وقوعها، لقد قتلت أباك يا مسيو رينولد من أجل المال، إذ كنت تظن أنك سترث نصف الثروة، وإن والدتك تعتبر متسترة عليك، ولكن المحكمة لا تقسو عليها باعتبارها أماً تحاول إنقاذ ابنها، أما أنت، فلا بد من محاكمتك على جريمة بشعة يستنكرها الله والناس.

وهنا فتح باب القاعة وأقبل أحد الحجاب فقال:

ـ يا سيدي المحقق، يا سيدي المحقق، هناك سيدة تقول.. تقول!

ـ تقول ماذا؟ إني أمنع هذا، إني..

ولكننا فوجئنا بدخول فتاة رقيقة الجسم، تضع على وجهها نقاباً أسود، تدخل بسرعة.

وعرفتها.. إنها بيللا دوفين، لقد أقبلت أخيراً لتنقذ جاك البريء.

وشهقت من فرط الدهشة حين رأيتها ترفع النقاب عن وجهها، إنها لم تكن سندريللا رغم الشبه الكبير بينهما، وإنما كانت أختها التوأم بعد أن خلعت عن رأسها باروكة الشعر الذهبي، فأصبحت مطابقة تماماً لصورة الفتاة التي وجدناها في غرفة جاك رينولد.

وقالت الفتاة:

ـ هل أنت يا سيدي المحقق في هذه القضية؟

ـ نعم.. ولكن اللوائح تمنع..

ـ إني بيللا دوفين، وأريد أن أعترف بأني قاتلة المسيو بول رينولد والد هذا الشاب!

* * *

وتلقيت في اليوم التالي الرسالة التالية من سندريللا.

عزيزي الكابتن هاستنج:

لسوف تعلم كل شيء حين تتسلم رسالتي هذه، لقد تعبت من

محاولتي اقناع أختي بيللا بعدم تقديم نفسها للمحاكمة، ولكنها أصرت على موقفها.

ستعلم الآن اني خدعتك حين جعلتك تعتقد أني بيللا دوفين، بينما أنا في الواقع أختها التوأم سندريللا أعني دولسي دوفين.

وأبدأ قصتي منذ رأيتك لأول مرة في قطار البحر الذاهب من باريس إلى لندن.

كنت أشعر بالقلق على بيللا التي ذهبت لمقابلة جاك رينولد بعد أن توقف عن مراسلتها، كانت تظن أنه تعرف بفتاة أخرى، وصح ظنها فيما بعد، ولهذا قررت أن تذهب لمقابلته رغم معارضتي، لأني كنت أخشى أن يقع شيء خطير بينهما.

ورغم حرصي الشديد في مراقبتها، فقد غافلتني في باريس واختفت عن نظري، ولهذا هبطت في كاليه فقررت عدم مواصلة السفر إلى لندن حتى أطمئن عليها.

وأسرعت إلى الفندق في بلدة ميرلينفيل،وعثرت عليها، وتناقشت معها طويلاً في عدم ذهابها إلى فيللا جنيفيف.

ولكنها أصرت على الذهاب. وذهبت، وجلست انتظرها، ولكنها لم تعد في تلك الليلة، ولا في الليلة التالية.

وشعرت بالقلق الشديد عليها، ثم قرأت في صحف المساء.. مساء اليوم الثالث من يونيه، نبأ الجريمة، وازددت خوفاً عليها وتصورت ما حدث، تصورت أنها التقت بوالد جاك، وأن الأب أهانها إلى حد كبير فأفلت منها زمام أعصابها وطعنته بالخنجر.

والواقع أننا من الفتيات السريعات الغضب، ثم قرأت بعد ذلك حكاية الأجانب ذوي الأقنعة واللحى الطويلة، وبدأت أشعر بالاطمئنان على أختي، إلا إني قررت البقاء حتى ازددت تأكيداً بأنه لا يوجد أي خطر يتهدد حياتها.

وفي صباح اليوم التالي، التاسع من يونيه، ذهبت إلى مكان

الحادث لأتحرى بنفسي، وهكذا التقيت بك، وأغريتك لكي تطلعني على الجثة، ولما رأيت المجني عليه مرتدياً معطف جاك، رأيت الخنجر الملعون الذي كان جاك قد أهداه لبيللا.. أدركت أن بيللا طعنت به الأب وهي تحسبه جاك - الابن - وتأكدت أنها ولا شك تركت عليه بصمات أصابعها، فقررت في لحظة خاطفة أن أسرقه.

وهكذا تظاهرت بالإغماء وطلبت منك أن تأتيني بكوب ماء، وفي خلال غيبتك سرقت الخنجر وخبأته في ثوبي، فقلت لك إني مقيمة في فندق دي فير.

ولكن كنت أكذب عليك طبعاً، ذلك لأني كنت أنزل في فندق آخر، ولكني في ذلك اليوم، بعد أن سرقت الخنجر، أسرعت بالرحيل إلى لندن وحرصت على أن ألقي بالخنجر في بحر المانش.

وهكذا تخلصت تماماً من أداة الجريمة، ووجدت بيللا في مسكننا بلندن وأخبرتها بما فعلت، وأكدت لها أنها اصبحت في أمان.

وحملقت في وجهي برهة ثم انفجرت ضاحكة.

وظلت تضحك حتى ظننت أنها فقدت عقلها، فقررت أن أشغلها بعمل سريع حتى لا تفقد عقلها حقاً إذا هي ظلت تفكر في تلك الجريمة، وهكذا تعاقدنا للعمل في مسرح بالاس.

ولما اتيت يا عزيزي هاستنج، ظننت أني بيللا دوفين، وأني سرقت الخنجر حماية لنفسي.

وتركتك سائراً في هذا الظن حتى تتستر على أختي التي كنت تحسبها أنا - لأني لو كنت أخبرتك بالحقيقة لما اهتممت بأمر اختي اهتمامك بأمري..

إني آسفة على هذا الموقف المشين يا عزيزي هاستنج، ولكني كنت في حالة يأس شديد.

كنت كالإنسان الذي لا يتورع عن القيام بأي شيء انقاذاً لأحب الناس إليه، ولكن بمجرد أن قرأت بيللا في الصحف الإنجليزية نبأ القبض على جاك، قررت أن تتقدم لإثبات براءته من تهمة قتل أبيه، هذه هي القصة كلها يا عزيزي..»

وكانت الرسالة بإمضاء «دولسي دوفين».

فقلت لبوارو بعد أن فرغ بدوره من القراءة:

- هل كنت تعرف طيلة الوقت أن بيللا دوفين ليست صديقتي سندريللا؟

- نعم يا صديقي.

- ولماذا لم تخبرني بذلك؟

- كنت أظن انه ليس من الممكن أن تخطئ في التمييز بين صديقتك وأختها حين رأيت الصورة.

- لقد خدعتني باروكة الشعر الذهبي. والمهم لماذا تركتني على خطئي اثناء وجودنا في الفندق بلندن!

- لأنك لم تترك لي أية فرصة لأذكر لك شيئاً.

- وبعد ذلك!

- أردت أن أعرف مدى حبك لسندريللا، اعني للآنسة دولسي، فقد ثبت لي الآن أنك تحبها بإخلاص لأنك بقيت صامتاً عزوفاً عن ذكر الحقيقة حتى وأنت ترى جاك البريء في أشد المواقف حرجاً.. فأومأت برأسي..

ثم قلت:

- هذا صحيح. ولكن هل كنت تظن أني سأترك جاك يساق إلى المقصلة دون أن أذكر الحقيقة! لقد بقيت صامتاً على أمل أن تنجح أنت في إنقاذه من الاعدام.

ونظرت إلى الرسالة الطويلة برهة..
ثم أردفت:
ـ ولكنها لم تذكر في الرسالة ما إذا كانت تبادلني الحب أم لا!
ـ أعتقد أن كل كلمة في الرسالة تكشف عن حبها لك يا عزيزي.
ـ ولكنها لم تكتب عنوانها، فأين سأعثر عليها مرة أخرى.
ـ دع هذه المهمة لصديقك بوارو، لسوف أعثر عليها من أجلك في أقل من خمس دقائق..

- ٢٥ -

فقال بوارو وهو يشد على يد جاك رينولد بعد أن تمت اجراءات الافراج عنه:
ـ أهنئك يا مسيو رينولد.
وابتسم الشاب فقال:
ـ لقد حاولت جاهداً أن احميهـا، ان احميها، ان أحمي بيللا دوفين، ولكن محاولتي لم تجد!
وسأل ستونر الذي كان سيرافقنا إلى ميرلينفيل:
ـ أتعتقد أن الفتاة ستقبل تلك التضحية منك..
ـ نعم.. نعم.. ولكن ماذا سيكون مصيرها.
فهز بوارو كتفيه فقال:
ـ إن المحامي البارع يستطيع أن يحصل لها على البراءة أو على أخف حكم ممكن، لأن القضاة الفرنسيين يحترمون العواطف إلى أقصى حد.
ـ الواقع يا مسيو بوارو أني اشعرأني المسؤول عن موت أبي، فلولا غرامياتي هذه، ولولا ان أبي ارتدى معطفي خطأ، لما قتلته بيللا خطأ، والحقيقة أني أسأت اليها أكبر إساءة عندما أهملت شأنها وتعلقت بمارثا دوبريل من أول نظرة. وأنا التمس لها العذر في كل ما فعلت، فقد أثبتت أنها تحبني حباً جعلها تفقد صوابها، وها هي ذي

مرة أخرى تثبت قوة حبها عندما تقدمت لتعترف بذنبها حتى تنقذني من الحكم بالإعدام.

ثم صمت برهة قبل أن يستطرد قائلاً:

ـ ولكن الشيء الذي يدهشني، فهو لماذا خرج أبي في تلك الليلة يتجول خارج حديقتنا؟ لعله أراد أن يروغ من أولئك السفاحين الأجانب! وهل أمي أخطأت حين ظنت أن هؤلاء السفاحين شخصان فقط، لا شك أن فزعها في ذلك الحين جعلها تخطىء في عددهم، كما أخطأت في تحديد الوقت.

فقال بوارو:

ـ اطمئن من هذه الناحية يا مسيو جاك.. فسأشرح لك كل شيء في الوقت المناسب، والآن فهل يمكنك أن تخبرنا بكل ما تعلم عن تلك الليلة الرهيبة!

فقال الشاب:

ـ لقد عدت إلى ميرلينفيل من شيربورج كما ذكر الشاهدان، وكنت أريد رؤية مارتا دوبريل قبل أن أبحر إلى أميركا الجنوبية، ورأيت أن أختصر المسافة من المحطة وأصل مباشرة إلى فيللا مرغريت، فسرت في الطريق الذي يخترق ملعب الجولف، فلما وصلت إلى النهاية الملعب فوجئت بسماع صيحة رهيبة. كانت صيحة مختنقة أفزعتني، وتسمرت في مكاني برهة، وبعدها تقدمت نحو شط الشجيرات، وكان القمر مضيئاً، ومن مكاني رأيت قبراً محفوراً وبجانبه شخص ملقى على وجهه وفي ظهره خنجر. ثم رفعت رأسي ورأيتها، وبدت لي في أول الأمر كأنها شبح، ولعلها كانت تظن أني شبح، لأنها ظلت تحملق في وجهي بفزع شديد، ثم أرسلت صيحة خافتة وانطلقت تجري.

ـ وبعد ذلك؟

ـ لا أدري تماماً، ولكني أعتقد أني بقيت برهة مذهولاً، ثم قررت

أن أبتعد بسرعة، فلم يخطر ببالي أني سأكون متهماً، ولكني خشيت أن يستدعوني لأدلي بالشهادة ضدها، وهكذا سرت بسرعة إلى بلدة سانت بوفيز، ومن هناك استأجرت سيارة وعدت إلى شيربورج.

وطرق الباب أحد خدم الفندق، وسلم ستونر برقية لجاك بعد أن قرأها:

ـ لقد استردت مدام رينولد وعيها..

ووثب بوارو واقفاً فقال:

ـ أهكذا.. حسناً، يجب أن نسرع جميعاً إلى ميرلينفيل.

ولكن ستونر قرر البقاء في سانت أومار حتى يكون بجوار بيللا دوفين خلال محنة سجنها، وهكذا انطلقنا إلى ميرلينفيل، جاك رينولد وبوارو وأنا، ولما اقتربنا من فيللا مرغريت، قال جاك:

ـ هل تسمح وتذهب يا مسيو بوارو وتخبر أمي بنبأ اطلاق سراحي؟

ـ فابتسم بوارو وقال:

ـ ريثما تذهب أنت وتخبر مارتا بهذا النبأ؟ حسناً.. سأذهب.

وغادر الشاب السيارة أمام فيللا مرغريت، ومضينا نحن إلى فيللا جنفييف، وهناك فتحت لنا فرانسواز الباب. فأخبرها بوارو أنه يريد رؤية مدام رينولد فوراً، وصعد هو بمفرده، ولم يلبث بعد دقائق أن هبط قائلاً:

ـ لقد أصيبت المسكينة برضوض قاسية في رأسها!

وقبل أن أقول شيئاً، رأيت من النافذة جاك ومارتا دوبريل مقبلين فهتفت:

ـ ها هما جاك ومارتا دوبريل.

وأسرع بوارو إلى مدخل الفيللا فقال لجاك:

ـ لا تدخل يا عزيزي الآن، إن أمك مضطربة كثيراً.

ـ أنا أعرف، ولكن يجب أن أصعد لأطمئن عليها.

ـ إذا أصررت على ذلك فلا تأخذ معك مارتا، إني أنصحك بهذا

وفي تلك اللحظة سمعنا جميعاً صوت المسز رينولد وهي تقول من رأس السلم:

ـ شكراً يا مسيو بوارو على اهتمامك بأمري، ولكني سأعبر عن وجهة نظري بصراحة ووضوح وحزم.

ثم راحت تهبط السلم وهي ملفوفة الرأس بالضمادات، ومعتمدة على ذراع الخادمة الفرنسية ليونيه، فأسرع الشاب إليها هاتفاً:

ـ أماه..

ـ إني لست أمك، ولن أكون أماً لك مدى الحياة.

ـ أماه..

واضطربت المسز رينولد قليلاً، ولكنها استردت توازنها بنظرة من بوارو، فأردفت قائلة:

ـ إن دماء والدك تقع على رأسك، لقد تحديته، فأصررت على أن تتزوج من هذه الفتاة، ولعبت بعواطف فتاة أخرى مسكينة وكانت النتيجة أن مات أبوك ضحية لنزواتك، إني لن أهتم بأمرك بعد اليوم، وسأختفي من حياتك دون أن أترك لك مليماً واحداً، وعليك أن تشق طريقك بنفسك إذا أردت أن تتزوج من هذه الفتاة التي تعتبر أمها أكبر عدو لي ولوالدك.

ثم راحت تصعد السلم ببطء، ونحن ننظر إليها مذهولين.

ولم يحتمل الشاب الصدمة، فأغمي عليه.

فقال بوارو وهو يسرع لإسعافه:

ـ إلى أين نحمله يا مس دوبريل؟

ـ الى بيتي.. إلى فيلا مرغريت، فسأعتني به مع امي، يا للمسكين.

وحملنا الشاب الى فيلتها حيث تهالك على مقعدين بين اليقظة والاغماء.

وتحسس بوارو يديه وقدميه فقال:

ـ إنه محموم، احملوه إلى السرير، وسأذهب مع هاستنج لاستدعاء الطبيب..

وحضر الطبيب فقال إنه يعاني من انهيار عصبي، وبأنه سيشفى في اليوم التالي إذا التزم الراحة التامة، أما إذا تعرض لمزيد من الصدمات فسيطول أمد المرض.

وبعد أن قام بإسعافه، تركناه في رعاية مارثا وأمها، وعدنا إلى البلدة، حيث تناولنا طعام العشاء، وبعد ذلك قررنا الإقامة في فندق دي بان.

وسأل بوارو مدير الفندق قائلاً:

ـ هل وصلت السيدة الإنجليزية مس روبنسون؟

ـ نعم يا سيدي، إنها في الصالون الآن.

وقلت لبوارو ونحن في الطريق إلى الصالون:

ـ من هي المس روبنسون؟

ـ إنها خطيبتك دولسي دوفين، لقد طلبت منها أن تغير اسمها أثناء إقامتها هنا حتى لا يعلم أحد أنها أخت المقبوض عليها بيللا دوفين.

وفي الصالون رأيتها، رأيت حبيبتي سندريللا وتعانقنا بحرارة.

وقال بوارو بحزم:

ـ كفى يا ولداي! إن أمامنا عملاً آخر يجب أن نفرغ منه، هل أمكنك يا آنسة بأن تقومي بالمهمة التي ذكرتها لك!

وتناولت سندريللا من حقيبة يدها شيئاً ملفوفاً في ورق وسلمته لبوارو ونظرت إلى ذلك الشيء مدهوشاً، كان نفس الخنجر المصنوع من معادن طائرة.. الخنجر الذي ظننت أنها ألقت به في البحر.

فقال بوارو:

ـ حسناً يا آنسة، يمكنك أن تستريحي هنا مع عزيزي هاستنج ريثما أفرغ من مهمة أخيرة.

ـ إلى أين أنت ذاهب يا مسيو بوارو؟

- ستعرفين ذلك غداً . .

- ولكنني مصرة على الذهاب معك .

- حسناً يا آنسة . . يمكنك أن تأتي إن شئت .

وبعد ثلث ساعة سرنا في الطريق إلى فيللا جنيفيف، وكان الظلام قد انتشر .

ولما وصلنا فيللا مرغريت، توقف بوارو أمام الباب وقال :

- اريد أن أدخل لاطمئن على حالة جاك رينولد، تعال معي يا عزيزي ويحسن ان تبقى الآنسة هنا، فقد تجرح مدام دوبريل شعورها بكلمة .

وفتحنا البوابة، وسرنا في ممر، فلما انعطفنا إلى جانب الفيللا لفت نظر بوارو إلى خيال جانبي لمارتا دوبريل وراء ستارة شفافة في نافذة غرفة أرضية ومن ثم قال بوارو :

- آه . . أعتقد إن هذه هي الغرفة التي وضع فيها جاك رينولد .

وفتحت لنا مدام دوبريل الباب، فقالت إن حالة جاك كما هي، ولكن بمكنتنا أن نرى بأنفسنا، وتقدمتنا إلى الغرفة الارضية .

وكانت مارتا دوبريل جالسة تشتغل في قطعة تطريز، فلما رأتنا وضعت أصبعها على شفتيها .

وكان الشاب مضطرباً في نومه، يتقلب من جنب إلى جنب، وكان وجهه لا يزال متوهجاً بالحمى، وسأل بوارو هامساً :

- هل سيأتي الطبيب مرة أخرى؟

- لن يأتي إلا إذا أرسلنا إليه، إن جاك نائم الآن، فهذا أهم شيء، لقد قدمت إليه والدتي شراباً مهدئاً .

وعادت إلى قطعة التطريز مرة أخرى، وغادرنا الغرفة، وصحبتنا مدام دوبريل إلى باب الفيللا، ونظرت إليها في شيء من الخوف بعد أن عرفت ماضيها، وكأني انظر إلى حية سامة .

فقال لها بوارو وهي تفتح لنا الباب :

- ارجو ألا نكون قد أزعجناك يا مدام دوبريل؟

- لا لا . مطلقا؟

وقال فجأة كأنما تذكر شيئاً :

- ألم يحدث أن رأيت المستر ستونر في ميرلينفيل اليوم؟

فأدركت أنه يحاول أن يضيع بعض الوقت بالوقوف مع السيدة دوبريل وتوجيه تلك الأسئلة التافهة إليها .

فقد أجابت تقول :

- لا . . لم أره، ولا أعرف إن كان هنا أم لا .

- ألم يقابل السيدة رينولد؟

- ومن أين لي أن أعرف يا سيدي؟

- صدقت، ولكني ظننت أنك ربما رأيته ماراً من هنا في ذهابه أو مجيئه، طاب مساؤك يا سيدتي .

ولما حاولت أن أسأله عن سبب هذه الأسئلة، أسكتني بنظرة من عينيه، ثم انضممنا إلى ستلا، وانطلقنا في الطريق إلى فيللا جنيفيف وكان بوارو، قبل أن يمضي، قد ألقى نظرة إلى النافذة ورأى خيال مارتا الجانبي وهي جالسة تشتغل بقطعة التطريز، وعلق على ذلك بقوله :

- إن جاك يتمتع برعاية طيبة طول الوقت .

ولما وصلنا إلى مدخل فيللا جينفييف، اتخذنا - بإشارة من بوارو - مكاناً وراء مجموعة من الأشجار يمكننا أن نرى منه واجهة الفيللا والحديقة دون أن يرانا أحد .

وكان الظلام يحيط بالفيللا، وبدا أن كل من بداخلها قد آوى إلى فراشه، فاقتربنا بحذر حتى وصلنا إلى مكان تحت نافذة غرفة نوم مدام رينولد مباشرة وكانت النافذة مفتوحة، ولاحظت أن بوارو يركز نظراته عليها .

وسأله هامساً :

- ماذا سنفعل؟
- سنراقب . .
- ولكن . .
- إني لا أتوقع أن يحدث شيء قبل ساعة وربما قبل ساعتين . .
فقطعت حديثه صيحة عالية:
- النجدة . . النجدة . .
وأضيء نور في نافذة الغرفة الواقعة في الناحية الأخرى، الناحية اليمنى من مدخل الفيلا، وكانت الصيحة آتية من تلك الغرفة وليس من الغرفة التي وقفنا تحت نافذتها مباشرة، وفيما نحن ننظر مذهولين، رأينا في ضوء النافذة ظلال اثنين مشتبكين في عراك عنيف.
وصاح بوارو:
- يا إلهي . . لا بد أنها غيرت غرفة نومها.
واندفع إلى الباب الخارجي للفيلا وراح يطرقه بقبضتي يديه في عنف شديد، ولما يئس، عاد وتسلق الشجرة الواقعة أمام النافذة التي كنا واقفين تحتها، ووصل إليها، وتبعته سندريللا بسرعة وبراعة.
فقلت لها:
- كوني على حذر؟
فهمست تقول:
- لا تنس أني بهلوانية، إن تسلق هذه الشجرة لعبة سهلة؟
وكان بوارو قد وصل إلى داخل الغرفة الخالية وراح يعالج فتح بابها، ثم قال:
- إن الباب مغلق من الخارج، وسنستغرق وقتاً طويلاً في فتحه.
وكانت صيحات الاستغاثة قد أخذت تخفت في يأس، وحاولت مع بوارو أن نكسر الباب بأكتافنا، ولكن على غير جدوى.
فقالت سندريللا وهي تعود للقفز من النافذة إلى الشجرة:

- إني فقط التي استطيع أن أنقذ الموقف.
وقبل أن ألحق بها، رأيتها تقفز في الهواء، ثم تتعلق بالحاجز البارز فوق النافذة، ثم تحرك نفسها وتنتقل بيديها على طول الحاجز لكي تصل إلى النافذة الواقعة على الجانب الآخر من باب الفيلا.
وصحت قائلاً:
- يا إلهي . . إنها ستقتل نفسها.
ورد بوارو:
- لا تخف، إنها بهلوانة محترفة، فقد ساقتها الأقدار إلى الليلة لتنقذ الموقف، أرجو أن تصل في الوقت المناسب.
وشقت سكون الليل صيحة فزع حين دخلت سندريللا الغرفة من النافذة.
ثم إذ بنا نسمع صوت سندريللا وهي تقول:
- لا تحاولي التخلص مني، إن لي قبضتين من حديد.
وفي تلك اللحظة فتح باب الغرفة التي كنا بها، ورأينا فرانسواز شاحبة الوجه ترتعد.
ولكن بوارو أزاحها جانباً، فانطلقت وراءه عبر الممر إلى الغرفة الأخرى التي كانت الأحداث تجري بداخلها سراعاً.
ولكن إحدى الخادمات المرتعدات صاحت:
- إنها مغلقة من الداخل، لقد حاولنا عبثاً أن نفتح الباب.
وفجأة سمعنا صوت سقوط جسم ثقيل وارتطامه بالأرضية.
وبعد لحظة فتحت لنا سندريللا الباب وأشارت بالدخول وهي تقول:
- إنها بخير.
ورأينا المسز رينولد متهالكة على الفراش تلهث بشدة وتقول:
- كادت أن تخنقني.
والتقطت سندريللا شيئاً من الأرض فقدمته إلى بوارو، وكان عبارة

عن سلم من الحبال الحريرية المتينة.

فقال بوارو:

ـ إنه أحسن أداة للفرار، ولعلها كانت ستستخدمه بعد أن تفرغ من مهمتها، ولكن أين هي!

فأشارت سندريللا إلى فتاة منكفئة على وجهها وراء السرير.

فسأل بوارو:

ـ هل ماتت؟

ـ يبدو أن رأسها اصطدم بحافة السرير صدمة شديدة فقتلتها.

وصحت أنا قائلاً في دهشة وحيرة:

ـ ولكن من هي.. عمن تتكلمون!

فرد بوارو:

ـ إنها قاتلة المسيو بول رينولد يا هاستنج، وهي التي كادت أن تقتل مدام رينولد أيضاً.

وركعت بجوار الجثة مدهوشاً، ورفعت طرف الثوب الذي كان يغطي رأسها..

وإذا بي أرى أمامي وجه.. مارتا دوبريل..

مارتا دوبريل..

الفتاة التي ظننتها يوماً آلهة جمال!

- ٢٦ -

ولم ينصت بوارو إلى أسئلتي المتوالية في تلك اللحظات، لأنه كان مشغولاً بتوجيه اللوم الشديد إلى فرنسواز لأنها لم تخبره بأن المسز رينولد غيرت غرفة نومها، إذ نقلتها من الجهة اليسرى إلى الجهة اليمنى من واجهة الفيللا.

وأمسكت بكتفه فقلت له معاتباً:

ـ ولكن لا بد أنك كنت تعرف، لقد صعدت لمقابلة المسز رينولد هذا المساء.

فقال:

ـ لقد قابلتها في غرفة الجلوس الوسطى، ولم يخبرني أحد أنها غيرت غرفة النوم.

فردت فرنسواز:

ـ لقد غيرتها بعد وقوع الجريمة مباشرة، إنها لم تحتمل النوم في الغرفة التي هوجمت فيها ليلة الحادث.

وصاح بوارو بحدة وهو يضرب مائدة أمامه بقبضة يده:

ـ ولكن لماذا لم تخبروني بهذه الحقيقة؟ لماذا؟ إنك امرأة عجوز حمقاء.. وكذلك ليونيه ودينيس! كلكن حمقاوات، غبيات، لقد كادت حماقتكن أن تؤدي إلى مقتل سيدتكن لولا شجاعة هذه الآنسة.

ثم أسرع إلى سندريللا وعانقها شاكراً..

وقطبت أنا جبيني لهذا العناق.

إلا أن بوارو صاح بي لأستدعي طبيباً لإسعاف مسز رينولد، ثم أستدعي رجال الشرطة.

واختتم أوامره قائلاً:

ـ ولا داعي لعودتك إلى هنا مرة أخرى، يمكنك أن تنتظرنا في الفندق.

وانصرفت بوجه مقطب.

وبعد أن قمت بما عهد إليّ به، عدت إلى الفندق وعبثاً حاولت أن أفهم شيئاً مما حدث.

وأخيراً ألقيت بنفسي على الفراش، فاستغرقت في النوم، ولما استيقظت ورأيت بوارو واقفاً بجانبي في ضوء الصباح وهو يقول:

ـ أتعرف أن الساعة الآن قد تجاوزت الحادية عشرة صباحاً!

وتوجعت.. ووضعت يدي على رأسي فقلت:

ـ لا بد أني كنت أحلم، لقد حلمت أننا وجدنا جثة مارتا دوبريل في غرفة نوم المسز رينولد، وعلمت أنها هي التي قتلت مستر رينولد وكادت أن تقتل السيدة رينولد!

ـ إنك لم تكن تحلم يا هاستنج، فهذه هي الحقيقة.

ـ ولكن.. ألم تقتل بيللا دوفين المستر رينولد، ألم تعترف هي بذلك أمام المحقق!

ـ لا يا هاستنج لقد اعترفت بذلك انقاذاً للشاب الذي تحبه.

ـ ماذا؟

ـ أتذكر قصة جاك رينولد؟ لقد وصل الاثنان في ليلة الحادث إلى مسرح الجريمة في لحظة واحدة، ومن ثم ظن كل منهما أنه القاتل، ظن هو، حين رآها بجوار جثة أبيه أنها القاتلة، وظنت هي حين لمحته واقفاً بجوار خط الشجر أنه القاتل.

وهكذا نظرت إليه في فزع وانطلقت تجري، ولكن عندما علمت أنه اتهم بقتل أبيه وتم القبض عليه، لم تحتمل هذا الوضع، فأرادت أن تضحي بنفسها من أجله، فأسرعت وقدمت نفسها باعتبارها القاتلة.

وتراجع بوارو في مقعده..

ثم أردف قائلاً:

ـ ولم أقتنع أنا بشيء من ذلك كله، لقد كنت مؤمناً في قرارة نفسي بأن القاتل شخص دبر الجريمة، أو ـ على الأقل ـ ارتكبها عامداً، مستغلاً الخطة التي وضعها رينولد لتضليل الشرطة.

ومعنى هذا أن المجرم لا بد قد عرف سلفاً الخطة التي وضعها رينولد فأدى هذا بي إلى الشك في المسز رينولد.

ولكن الوقائع اثبتت أن المسز رينولد ليست هي قاتلة زوجها، فهل هناك أحد آخر يمكن أن يكون قد عرف بخطة رينولد؟

نعم.. لقد سمعنا مارتا دوبريل تعترف بأنها سمعت المشاجرة التي حصلت بين المسيو بول والصعلوك الأفاق، فإذا كانت قد استطاعت أن تسمع هذا، فلا بد أنها سمعت أشياء أخرى، لا سيما حين جلس رينولد مع زوجته على المقعد القريب من الحادث وراح يتبادل معها الحديث عن الخطة التي أراد بتنفيذها أن يبدو أمام العالم «ميتاً».

أتذكر كيف أمكنك بسهولة أن تسمع حديث مارتا مع جاك رينولد وهما جالسان على نفس المقعد؟

فقلت:

ـ ولكن.. ما هو الدافع لارتكابها جريمة قتل رينولد.

ـ الدافع؟ المال طبعاً! لقد كانت تعتقد حتى آخر لحظة أن جاك سيرث نصف ثروة أبيه المليونير، والآن لننظر إلى هيكل الجريمة من وجهة نظر مارتا دوبريل.

لقد سمعت مارتا الحديث الذي دار بين رينولد وزوجته وهما

جالسان على المقعد الحجري بعد سقوط الصعلوك الأفاق ميتاً بالصرع، فأدركت من هذا الحديث أن رينولد ـ الذي كان منجماً ذهبياً لها ولأمها، سوف يختفي تماماً في مكان مجهول.

وخطر لها في أول الأمر أن تمنع ذلك الهرب.

ولكن فكرة أشد جرأة وقسوة خطرت ببالها، لقد كانت تعلم أن بول رينولد يقف عقبة في طريق زواجها من ابنه.

فإذا حاول الابن أن يتحدى أباه ويتزوجها، فمن المرجح أن يحرم الأب ابنه من الميراث، ومارتا لم تحب جاك أساساً، إلا لأنه ابن ميلونير.

إنها قد تتظاهر بالحب، ولكنها ذات طبيعة باردة قاسية مثل معظم الجميلات جداً.. ومثل أمها بطبيعة الحال.

وكذلك لم تكن واثقة تماماً من قوة حب جاك لها، حقاً لقد سحرته وسبته من النظرة الأولى.

ولكن.. هل يمكن أن يبقى الفتى على حبها إذا فرق والده بينهما وأرسله في مهمة بعيدة لمدة سنة كاملة مثلاً..

كل هذه الاحتمالات يمكن القضاء عليها إذا مات الأب، إنها بعد وفاته يمكنها الزواج من جاك، وتصبح في غمضة عين زوجة ميلونير شاب.

وأكد لها ذكاؤها أن الأمر سهل، فإن رينولد قد دبر خطة يبدو بها «ميتاً» أمام العالم.

وما عليها إلا أن تتقدم وتحول «الوهم» إلى حقيقة في الوقت المناسب، وهنا يأتي الدليل الثاني الذي وجه شكوكي إلى مارتا دوبريل.

لقد أمر جاك الشركة بصنع ثلاث خناجر من معدن طائرة، وعلمنا أنه أهدى احداها لأمه، والثاني لبيللا دوفين، أليس من المرجح أن يكون قد اهدى الخنجر الثالث لمارتا دوبريل!

وعلى هذا النحو يمكننا أن نختصر الأدلة ضد مارتا دوبريل في هذه النقاط الأربع.

١ ـ كان في مقدور مارتا أن تسمع خطة رينولد الأب لإيهام الناس بوفاته.

٢ ـ كان لمارتا دافع مباشر أو مصلحة مباشرة في التخلص من رينولد الأب.

٣ ـ إن مارتا دوبريل هي ابنة المرأة التي اشتركت مع جورج كونو في قتل زوجها.

٤ ـ كانت مارتا الإنسانة الوحيدة ـ غير جاك ـ التي تحتفظ بالخنجر الثالث.

وصمت بوارو برهة..

ثم استطرد يقول:

ـ ولما سمعت بوجود تلك الفتاة الأخرى بيللا دوفين، أدركت أن هناك احتمالاً بأن تكون هي القاتلة، ولكني لم أشعر بالميل إلى هذا الاحتمال لسبب بسيط، وهو أن الإنسان لا يتجول عادة في الليل ممسكاً في يده بخنجر، ولكن.. ربما كانت تحمل الخنجر لكي تقتل به جاك، ولما تقدمت واعترفت بارتكابها للجريمة أمام المحقق، بدا لي أن القضيةانتهت، ومع ذلك لم أكن مقتنعاً، لم أكن مطمئناً تماماً.

وعدت استعرض الجريمة مرة أخرى، وتساءلت في قرارة نفسي، إذ لم أكن مقتنعاً بأن بيللا هي القاتلة، فمن يكون القاتل إذن؟

إن الشخص الوحيد الذي تركزت حوله شكوكي، كان مارتا دوبريل.. ولكن لم يكن أمامي دليل مادي واحد ضدها.

ثم اطلعتني على الرسالة التي أرسلتها إليك دوفين ـ سندريللا ـ وهنا قررت أن أنتهز الفرصة التي سنحت لأضع لشكوكي حداً.

إن الخنجر الذي سرقته سندريللا ألقت به في عرض بحر

المانش، لأنها ظنت إنه الأداة التي ارتكبت بها أختها الجريمة، ولكن إذا حدث مصادفة أن ذلك الخنجر ليس هو الخنجر الذي أهداه جاك لأختها، وإنما الخنجر الذي أهداه لمارتا دوبريل، إذن فالقاتل يكون مارتا دون أدنى شك.

وهكذا اتصلت بدولسي ـ من وراء ظهرك يا هاستنج ـ وطلبت منها أن تبحث في حاجيات أختها عن خنجر صغير مصنوع من معدن الطائرات.

ويمكنك أن تتصور فرحتي عندما جاءت سندريللا ـ تحت اسم المس روبنسون، ومعها الخنجر الذي لقيته في حاجيات أختها.

وفي خلال هذه الفترة كنت قد دبرت خطة لإرغام مارتا دوبريل للكشف عن نفسها أمامنا، أو بمعنى آخر، وضعت كميناً للإيقاع بها.

ومن ثم اتفقت مع مدام رينولد لكي تهاجم ابنها وتعلن براءتها منه ومن تصرفاته وتهدده بحرمانه من ثروة أبيه إذا هو تزوج بمارتا دوبريل.

وقبلت مدام رينولد التعاون معي، ولكنها للأسف لم تخبرني بأنها غيرت غرفة نومها.

ولعلها ظنت أني أعرف هذا التغيير منذ أن قامت به.

وهكذا حاولت مارتا أن تقضي على مدام رينولد لتتخلص منها وترد الثروة لجاك..

ولكنها فشلت كما حدث.

وعندئذ قلت لبوارو:

ـ ولكن كيف استطاعت مارتا أن تدخل الفيللا دون أن نراها؟ لقد تركناها مع أمها في فيللا مرغريت، ومع ذلك سبقتنا ودخلت الفيللا قبلنا ودون أن نراها.

ـ لا يا صديقي.. إننا لم نتركها وراءنا في فيللا مرغريت.. لقد خرجت من النافذة أثناء حديثنا مع أمها، وأنا أشهد أن تلك الفتاة،

حين سبقتنا إلى الفيللا، كادت أن تنتصر علي في اللحظة الأخيرة.

لقد كنت أتوقع أن تأتي بعدنا بمدة. بنصف ساعة أو بساعة أو ساعتين، وبذلك نستطيع إنقاذ مدام رينولد دون أن نعرضها للخطر، ولكن مارتا كانت أشد ذكاء مما ظننت، فأسرعت قبلنا إلى مدام رينولد لتقضي عليها قبل أن يمنعها أحد.

فقلت مدهوشاً:

ـ ولكننا رأينا خيالها وهي جالسة وراء ستار النافذة تشتغل بقطعة التطريز عندما هممنا بالانصراف من الفيللا.

ـ إن التي رأينا خيالها وراء ستار النافذة جالسة إلى قطعة التطريز لم تكن مارتا، وإنما أمها. ولا تنس أن الأم وابنتها متماثلتان في الطول والمظهر العام، لقد فعلت الأم ذلك حتى تجعلنا نتوهم أنها مارتا.

ولكني لم اتوقف عن الشعور بالدهشة..

ومن ثم قلت:

ـ هل كانت مارتا واثقة بأنها قادرة على قتل مدام رينولد ببساطة!

فابتسم بوارو وقال:

ـ لقد وجدت بجوار جثة مارتا حقنة مليئة بكمية قاتلة من المورفين، وقطعة قطن مبللة بالمخدر. وكان هدفها أن تخدر مدام رينولد بالكلوروفورم ثم تحقنها بالمورفين القاتل، وفي الصباح تكون رائحة الكلوروفورم قد زالت ويظن المحققون أن السيدة رينولد هي التي حقنت نفسها بالمورفين بسبب اضطراب عقلها بعد الصدمة التي اصابتها.

وصمت بوارو برهة قبل أن يستطرد قائلاً:

ـ ولكن الأمور لم تتم كما اشتهت مارتا، لأن مدام رينولد كانت مستيقظة في انتظارها، ولهذا قاومت بشدة لم تكن مارتا تتوقعها، ولما سمعتنا مارتا ونحن ندق الباب، قررت أن تقتلها خنقاً بيدها ثم تهرب

عن طريق السلم، قبل أن تدخل وتنقذها.

وكانت مطمئنة إلى أن أحداً لن يستطيع أن يثبت عليها تهمة القتل، أو تهمة قتل المسيو رينولد من قبلها، ومرة أخرى فشلت في محاولتها، لا بفضل هيركيول بوارو، وإنما بفضل هذه البهلوانة الصغيرة الحسناء ذات اليدين الحديديتين.

فاستعرضت في ذهني الحوادث كلها..

ثم سألت بوارو:

- متى بدأت الشك في الفتاة؟

- أتذكر يا صديقي يوم وصلنا إلى ميرلينفيل أول مرة.. يوم مررنا بفيللا مرغريت ورأينا هذه الحسناء مارتا دوبريل، أتذكر ما قلته أنت عنها بأنها آلهة جمال، بينما قلت لك إني لم أر غير فتاة ذات عيون خائفة! هكذا كان شعوري نحوها، فتاة خائفة العينين.. لا من أجل جاك.. لأنها لم تكن تعرف أن الشاب كان موجوداً في الليلة السابقة.. ليلة وقوع الحادث وإنما من أجل نفسها.

- وبهذه المناسبة كيف حال الشاب رينولد..

- في تحسن كبير.. وهو لا يزال في فيللا مرغريت، إلا أن السيدة دوبريل اختفت تماماً، ورجال الشرطة يبحثون عنها في كل مكان.

ذلك ما أرجحه، ولكننا لن نعرف الحقيقة أبداً ما لم يقبض رجال الشرطة على السيدة دوبريل.

- هل علم رينولد بما حدث؟

- ليس بعد..

- ستكون الصدمة قاسية عليه.

طبعاً.. ولكني أعتقد أن الحب بينه وبين مارتا دوبريل لم يكن حباً حقيقياً دائماً، في رأيي إنها لم تكن تحبه إلا من أجل ثروته، ولهذا كانت تبذل جهدها ليبقى أسير جمالها الباهر. وكان هو مفتوناً بجمالها قبل كل شيء، والافتتان بالجمال وحده لا يمكن أن يكون حباً قوياً،

أما الحب القوي الحقيقي فهو الذي كان ولا يزال في رأيي، بين جاك رينولد وبيللا دوفين، ألا ترى كيف أراد أن يضحي بنفسه حين عرف أن أصابع الاتهام بدأت تتجه إليها.

ألا ترى كيف أسرعت هي للتضحية بنفسها حين سمعت نبأ القبض عليه لقد كان كل منهما بريئاً، ومع ذلك تقدم لينقذ الآخر.. هذا هو الحب الحقيقي يا عزيزي هاستنج، تماماً كحبك لدولسي دوفين، الذي جعلك تتخلى - ولو لمدة ليلة واحدة - عن مبادئك وتحاول حمايتها من الاتهام بأي ثمن.

وحدث ما كان بوارو يتوقعه، لقد تحمل جاك الصدمة بشجاعة حين علم بنبأ مصرع مارتا دوبريل.

واستطاعت أمه بحنانها ورقتها أن تجتاز به المحنة في سلام، وأصبح الاثنان، الأم والابن، لا يكادان يفترقان.

وكان بوارو قد استطاع أن يقنع مدام رينولد لكي تصارح ابنها بكل شيء. بماضي أبيه، وقد قال لها في هذا الشأن:

- إن إخفاء الحقائق لا يجدي يا مدام رينولد، تذرعي بالشجاعة وصارحيه بكل شيء..

ووافقت الأم بقلب مثقل بالحزن، وعلم الابن أن أباه كان هارباً من العدالة..

فقال له بوارو:

- هذه هي الحياة يا ولدي، ولا ذنب لك في كل ما حدث، ولكن تأكد أن العالم لا يعرف شيئاً، وليس هناك ما يدعوني لأن أخبر رجال الشرطة بكل ما أعرفه عن أبيك..

لقد كنت أعمل لحسابه وليس لحساب الشرطة، ويكفي أن والدك دفع الثمن أخيراً واقتصت منه العدالة.

وهكذا ظلت هناك نقط كثيرة غامضة على شرطة باريس وميرلينفيل، ولكن بوارو استطاع، بلباقته، أن يبعد أذهان رجال

الشرطة عن هذه النقاط.

وبعد عودتنا إلى لندن بأسبوعين، أقبل علينا جاك وعلى وجهه أمارات العزم، فقال:

- أتيت يا سيد بوارو لأودعكم، سوف أرحل إلى أميركا الجنوبية، لقد كانت لأبي مصالح كثيرة هناك، وسوف أذهب لأبدأ حياتي من جديد في تلك المناطق.

- هل ستذهب بمفردك؟

- ستأتي والدتي معي، وسأحتفظ بالمستر ستونر كسكرتير ليّ، وهو يحب الطواف بالعالم.

- ألن يذهب معك أحد آخر.

واحمر وجهه وتمتم:

- أتعني؟

- أعني فتاة تحبك حباً قوياً، حباً يجعلها تتقدم للتضحية بنفسها من أجلك.

- كيف استطيع أن أتقدم إليها بعد كل ما حدث؟ ماذا أقول لها؟

- قل لها أي شيء.. إن المرأة حين تحب تكون على استعداد كامل لأن تصدق أي شيء وأن تتسامح في أي شيء.

- ولكن.. هل تقبل أن تتزوجني وأنا.. وأنا ابن.. أبي!

وابتسم بوارو وقال:

- إني أعرف امرأة كان لها من الشجاعة وقوة الاحتمال والقدرة على التضحية ما جعلها تقف بجوار زوجها رغم كل ما عرفته عنه.

- أتعني.. أتعني.. أمي!

- نعم.. وأنت ابن أمك كما أنك ابن أبيك، اذهب إلى الآنسة بيللا وصارحها بكل شيء، ثم انظر ماذا ستفعل!

وتردد الشاب لحظة..

وعاد بوارو يقول له:

- اذهب إليها رجلاً كاملاً صهرته التجارب وأصبح في مقدوره أن يواجه الحياة بعقلية جديدة رائعة، اطلب منها أن تكون لك شريكة في هذه المرحلة الجديدة من حياتك، إني واثق بأن الحب بينكما أقوى مما تظن، إنه حب ازداد قوة بالأحداث والتجارب، لقد كان كل منكما راغماً في التضحية بحياته من أجل الآخر..

وماذا عني أنا.. الكابتن ارثر هاستنج.. كاتب هذه السطور!

لقد عرض علي جاك رينولد أن أدير مزرعة ضخمة من مزارع أبيه في جمهورية شيلي، وما زلت أفكر في الأمر.. أما الشيء الذي لم أفكر فيه كثيراً فهو الزواج من حبيبة القلب سندريللا.

- تمت -